

د. شادي أحمد توفيق الملحم

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

د. شادي أحمد توفيق الملحم

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم والآداب بالمدنب، جامعة القصيم.

ملخص البحث. يهدف هذا البحث إلى جمع ودراسة آيات النوم ومرادفاته في القرآن الكريم، واستنباط هدي القرآن الكريم فيه، وذلك لما للنوم من أهمية كبيرة في حياة الناس؛ لكثرة حدوثه ودورانه، ولعظيم الأجر والثواب بمجهد يسير في الاقتفاء بهدي القرآن فيه، وكذلك لكثرة المعتقدات والممارسات الخاطئة فيه، كما يهدف هذا البحث إلى تقديم نموذج من التصور القرآني، من خلال التفسير الموضوعي لموضوع يقضي الناس فيه قريباً من ثلث أعمارهم.

وقد سلك الباحث فيه المنهج الاستقرائي، بجمع وإحصاء الآيات المتعلقة، ثم المنهج التحليلي في دراسة تلكم الآيات، وأخيراً المنهج الاستنباطي في بيان هدي القرآن الكريم في النوم، مع الالتزام بأصول البحث العلمي.

ومما توصل إليه الباحث من هدي القرآن الكريم في النوم: عدم النوم الطويل، أهمية النوم المتقطع، للنوم أوقات ثلاثة مفضلة، في الليل أعمال متعددة للمسلم سوى النوم يحسن القيام بها، النوم نعمة عظيمة لراحة الناس، لا نوم في الآخرة، في النوم علامات ومبشرات للصالح، ضرورة الاستئذان في وقت النوم، كما أن المصائب والبلايا قد تأتي في وقت النوم، وغيرها مما هو مسطور في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: التفسير الموضوعي، النوم، القرآن الكريم.

هدى القرآن الكريم في النوم - دراسة موضوعية -

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد أنزل الله القرآن الكريم مشرعاً للناس، مبيناً لهم ما ينفعهم ويصلح شأنهم، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم^(١).

والأمة الإسلامية بخير ورفعة ما عملت بكتاب ربها، واهتدت بهديه، قال ﷺ: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)^(٢)، قال القرطبي في شرحه: «يعني: يشرف ويكرم في الدنيا والآخرة، وذلك بسبب الاعتناء به والعلم به، والعمل بما فيه، (ويضع) يعني: يحقر ويصغر في الدنيا والآخرة، وذلك بسبب تركه، والجهل به، وترك العمل به»^(٣).

ولعل من أهم الطرق التي تمكنا من تطبيق هدى القرآن الكريم والعمل به في أي مسألة: التفسير الموضوعي، بجمع ودراسة الآيات التي توضح وتبين تلك المسألة^(٤)، فيخرج الباحث بحكم واضح، وتصور كامل، وهدى قرآني عن تلك المسألة.

من هنا اختار الباحث أن يدرس قضية مهمة في حياة الناس، يمحسون فيها ثلث أعمارهم أو يزيد، ومعظمهم يغفل عن هدى القرآن فيها، فضلاً عن استغلالها بالمفيد بجهد يسير، وعمل قليل، ألا وهي: النوم، فجاء هذا البحث ليبين أهمية النوم في حياة المسلم، ويوضح هدى القرآن الكريم فيه وفي أوقاته، لما له من أهمية بالغة، ولكثرة دورانه وحدوثه في حياة الناس.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة هذا البحث في الإجابة عن الأسئلة التالية:

- (١) - مقتبس من حديث علي عليه السلام في سنن الترمذي، كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل القرآن، رقم (٢٩٠٦)، والحديث ضعيف، انظر: مشكاة المصابيح، للتبريزي، رقم (٢١٣٨).
- (٢) - رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم (٨١٧).
- (٣) - المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، للقرطبي، ٤٤٦ / ٢.
- (٤) - لأهمية التفسير الموضوعي انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، لمصطفى مسلم، ٢١، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، لعبد الستار فتح الله، ٤٠، ودراسات في التفسير الموضوعي، لظاهر الأملعي، ١٩، والمدخل إلى التفسير الموضوعي، لإبراهيم الحميضي، ١٨ - ١٩.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

- ١- ما الآيات التي ذكرت كلمة النوم أو إحدى مرادفاتها؟
- ٢- ما الحكمة من تعدد واختلاف الألفاظ الدالة على النوم، وماذا نستفيد من كل لفظة؟
- ٣- كم عدد الساعات المناسبة التي ينامها المسلم في اليوم؟
- ٤- ما الأوقات التي يفضل النوم فيها؟
- ٥- بماذا يقضي المسلم ليله؟
- ٦- ما الآداب والتوجيهات القرآنية للمسلم في موضوع النوم؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى :

- ١- جمع ودراسة المواضع التي وردت فيها كلمة النوم باشتقاقاتها المختلفة، ومرادفاتها في القرآن الكريم.
- ٢- التفريق بين مرادفات النوم في القرآن الكريم، وبيان سبب اختيار كل لفظة في موضعها.
- ٣- استنباط هدي القرآن الكريم في النوم، وتقديمه بصورة عملية.
- ٤- بيان تقريبي لعدد ساعات النوم المناسبة للإنسان في اليوم، من خلال دراسة آيات النوم في القرآن الكريم.
- ٥- تقديم رؤية واضحة، وتصور قرآني عن النوم ليكون بديلاً عن التصورات المختلفة والمتناقضة المنتشرة بين الناس، ليكون نبراساً لمن أحب أن يهتدي بهدي القرآن الكريم.

أهمية البحث :

تبرز أهمية البحث من خلال النقاط التالية:

- ١- المعتقدات الكثيرة الخاطئة حول مفهوم النوم عند الناس، وما يتعلق به من رؤى وأحلام وأوهام.
- ٢- الممارسات الكثيرة الخاطئة في النوم من عموم الناس، ومن طلبه العلم أحياناً، سواء في وقته أو مقداره أو طريقته وغيرها.
- ٣- كثرة الوقت الذي يقضيه الإنسان في النوم، وكذلك كثرة دورانه وتكراره، فالإنسان لا يخلو يوم في حياته من النوم.

هدى القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

٤- عظيم الفائدة وجزيل الثواب الذي يجنيه المسلم إذا اهتدى بهدي القرآن في النوم، وذلك بجهد يسير وعمل قليل.

٥- استنباط هدي القرآن الكريم في النوم -عن طريق التفسير الموضوعي-، وتقديمه للناس ليكون نبراساً لهم في حياتهم وطريقاً يسرون عليه.

حدود البحث :

هذا البحث محدد بدراسة الآيات التي ذكرت كلمة النوم بإحدى اشتقاقاتها، والآيات التي ذكرت إحدى مرادفات النوم، واستخراج هدي القرآن في النوم من خلالها، ولا يشمل هذا البحث هدي الإسلام في النوم الوارد في السنة النبوية، كما لا يشمل دراسة النظريات والحقائق العلمية في النوم.

منهجية البحث :

تتمثل المنهجية بحول الله في المنهج الاستقرائي، وذلك بجمع وإحصاء الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة النوم بإحدى اشتقاقاتها أو مرادفاتهما، أو ما يتعلق بها، ثم المنهج التحليلي في دراسة تلك الآيات والكلمات، ثم المنهج الاستنباطي في بيان هدي القرآن الكريم في النوم، مع الالتزام بأصول البحث العلمي.

الدراسات السابقة :

إن معظم الدراسات عن النوم هي دراسات علمية متأثرة بالغرب وأبحاثه، التي ربما ناقض بعضها بعضاً، وثمة دراسات إسلامية أغلبها يبحث أحكام النوم وآدابه، ومعظم هذه الدراسات تقوم على السنة النبوية التي فيها تفصيل كبير عن النوم، أما الدراسات القرآنية فوجد الباحث ثلاث دراسات قريبة من بحثه -وثمة دراسات أخرى إلا أنها بعيدة عن البحث- إلا أنها في الجملة جاءت عامة مشتركة بين الدراسة القرآنية والحديثية، فضلاً عن عدم استيعابها لمنهج هدي القرآن الكريم في النوم، وهذه الدراسات هي:

١- آيات النوم في القرآن الكريم دراسة موضوعية، د. عصام زهد، وهو بحث منشور في الجامعة الإسلامية (غزة) المجلد ١٨، العدد ٢، ٢٠١٠م، ويقع في ٣٥ صفحة.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

وبعد الاطلاع على هذا البحث، وجد الباحث أن البحث -مع ما فيه من جهد مشكور- لم يتطرق إلى جميع مرادفات النوم في القرآن، ولم يدرس كثيراً من الآيات التي تبين هدي القرآن في النوم، كما أنه تكلم في مبحث كامل عن آداب وفوائد وأحكام النوم، وجل ما ذكره ليس من القرآن، وإنما من السنة المطهرة، وهذا المبحث أخذ جزءاً كبيراً من البحث، كما أن البحث لم يستوف فقرات المقدمة من أهمية وأهداف وغيرها، أما بحثي فسيقتصر على هدي القرآن الكريم فقط، كما سيدرس جميع الآيات التي تبين وتوضح هذا الهدي.

٢- النوم في الكتاب والسنة وأوجه الإعجاز العلمي في النوم الشرعي، د. عبد المحسن زين المطيري، وهو بحث في ٥٩ صفحة، قسم إلى ثلاثة فصول، أحدها درس فيه النوم في السنة النبوية، فهو خارج عن موضوع هذا البحث، كما أن بحث د. المطيري في معظمه يعتمد على المراجع العلمية المعاصرة، فقد رجع الباحث إلى ٦١ مرجعاً، منها ٢١ عبارة عن مجلات علمية ثقافية، بعيدة عن الدراسات القرآنية، وحتى بقية المراجع ليس فيها إلا ستة فقط من كتب التفسير، فالبحث أقرب إلى الدراسة العلمية الثقافية العامة، منها إلى الدراسة القرآنية، فضلاً عن عدم استيعابه لهدي القرآن في النوم.

٣- ظاهرة النوم في القرآن والسنة دراسة موضوعية، د. وليد الحمد، وهو بحث في ٦٨ صفحة، مقسم إلى ستة مباحث (لم تقسم إلى مطالب)، درس فيها: معنى النوم، النوم ظاهرة حيوية، الخالق لا تأخذه سنة ولا نوم، نوم أصحاب الكهف، النوم والموت، النوم وأحكام شرعية، فلم يستوعب هدي القرآن الكريم في النوم، كما أنه لم يجمع آيات النوم ولا مرادفاته في القرآن الكريم، مع ما تفضل الباحث به من جهد مشكور، إلا أنه لم يقدم دراسة موضوعية شاملة عن النوم.

هدى القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

خطة البحث :

- لقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي.
- المقدمة: وفيها استعراض أدبيات البحث.
 - التمهيد: في النوم.
 - المبحث الأول: تعريف النوم واشتقاقاته ومرادفاته في القرآن الكريم ، وفيه ثلاثة مطالب:
 - المطلب الأول: تعريف النوم.
 - المطلب الثاني: اشتقاقات النوم.
 - المطلب الثالث: مرادفات النوم في القرآن الكريم.
 - المبحث الثاني: القواعد القرآنية في النوم ، وفيه خمسة مطالب.
 - المطلب الأول: الخالق سبحانه لا ينام.
 - المطلب الثاني: لا نوم في الآخرة
 - المطلب الثالث: النوم يذكر بالموت.
 - المطلب الرابع: في النوم علامات للصالح.
 - المطلب الخامس: النوم راحة للناس.
 - المبحث الثالث: الهدى القرآني في وقت النوم، وفيه أربعة مطالب.
 - المطلب الأول: الأوقات المفضلة للنوم.
 - المطلب الثاني: أعمال المؤمن في الليل خلا النوم.
 - المطلب الثالث: ضرورة الاستئذان وقت النوم.
 - المطلب الرابع: المصائب قد تأتي وقت النوم
 - المبحث الرابع: الهدى القرآني في النوم، وفيه أربعة مطالب.
 - المطلب الأول: عدم النوم الطويل.
 - المطلب الثاني: عدد ساعات النوم المناسبة.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

- المطلب الثالث: النوم في الليل.
- المطلب الرابع: النوم على الجنب الأيمن.
- الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج وأهم التوصيات.

التمهيد: في النوم.

فإن ظاهرة النوم مشهورة مستفيضة، يعرفها كل الناس، بل يطبقونها ويمارسونها، ويقضون ثلث أعمارهم فيها أو يزيد، ومع ذلك فإن معظم الناس لا يعرفون حقيقة النوم، بل ربما يعتقدون باعتقادات خاطئة حوله، منها أن النوم عبارة عن خمول وتوقف في وظائف الجسم الجسدية والعقلية، إلا أن الواقع والعلم يثبت خلاف ذلك، حيث إنه يحدث أثناء النوم العديد من الأنشطة المعقدة على مستوى المخ والجسم، بل إن بعض الوظائف تكون أنشط خلال النوم مقارنة مع اليقظة، كما أن بعض الأمراض لا تحدث إلا خلال النوم.

قال ابن عاشور: « وحالة النوم حالة عجيبة من أحوال الإنسان والحيوان، إذ جعل الله له في نظام أعصابه ودماعه قانوناً، يسترد به قوة مجموعته العصبي بعد أن يعتريه فشل الإعياء من أعمال عقله وجسده، فيعتريه شبه موت يخدر إدراكه، ولا يعطل حركات أعضائه الرئيسة، ولكنه يثبطها حتى يبلغ من الزمن مقداراً كافياً لاسترجاع قوته»^(٥).

ومع شهرة واستفاضة النوم بين الناس، ومع كثرة حدوثه ودورانه، إلا أن حقيقة النوم لا تزال غامضة، يشوبها كثير من الأوهام، مع أن العصر الحديث بعلمه المتقدم، وتقنياته المتطورة كشف كثيراً عن النوم مما كان مجهولاً أو ثمة أخطاء حوله، إلا أنه لم يبين حقيقة النوم بالصورة الكاملة، يقول الدكتور هوبسن في كتابه النوم (Sleep) الذي صدر في عام ١٩٨٩م: «لقد استطاع العلماء خلال الستين سنة الماضية، جمع معلومات عن النوم تفوق ما تم جمعه خلال آلاف السنين الماضية، ومع

(٥) - التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢١ / ٣٦.

هدى القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

ذلك يظل النوم الظاهرة الفسيولوجية الأكثر تعقيداً، والتي تتحدى في غموضها كبار علماء النفس وعلماء الفسيولوجيا، رغم كل ما لديهم من تقنية عالية وأجهزة متطورة»^(٦).

ولكن عند التمعن في القرآن الكريم وآياته المتعلقة بالنوم، يستطيع الناظر والمتأمل والمتدبر أن يخرج بتصور متكامل ونظرة شاملة، وهدى قرآني عن النوم، ولا شك أن هدى القرآن الكريم هو الحق والفصل الذي لا هزل فيه.

المبحث الأول: تعريف النوم واشتقاقاته ومرادفاته في القرآن الكريم

تناول هذا المبحث: تعريف النوم لغة واصطلاحاً عند المتقدمين والمتأخرين، وكذلك اشتقاقاته ومرادفات النوم في القرآن الكريم، وذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النوم.

أولاً: تعريف النوم لغة:

قال ابن فارس: «النون والواو والميم: أصل صحيح يدل على جمود وسكون حركة، وهو من نام ينام نوماً ومناماً، ومنه: استنام لي فلان إذا اطمأن إليه وسكن، والمنامة: القطيفة؛ لأنه ينام فيها، ويستعيرون منه: نامت السوق: كسدت، ونام الثوب: أخلق»^(٧).

وذكر الراغب عدة أوجه في معنى النوم، وقال عنها: كلها صحيح، وفيها تداخل بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، منها: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل، والنومة خامل الذكر^(٨).

وأضاف ابن منظور: «النوم معروف من الفعل الماضي نام، ومضارعه ينام، ومصدره نوماً ونياماً، والاسم النيمة، وهو نائم إذا رقد في فراشه، وهو من قوم نيام ونوم: بمعنى قلة الذكر لهم، ونام الرجل إذا تواضع لله»^(٩).

(٦)- النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن، د. حسان باشا، ٨.

(٧)- انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٨٧٩.

(٨)- انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، ٥١١.

(٩)- انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٧/٤٥٨٣-٤٥٨٥.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

وكذلك ذكر السمين الحلبي: أن النوم موت خفيف، وزاد عليه الإنامة: القتل، واستدل عليه بقول علي بن أبي طالب عليه السلام في قتل الخوارج: «إذا رأيتموهم فأنيموهم» أي: اقتلوهم^(١٠).

وزاد الفيروزآبادي على ما سبق: النوم هو النعاس والرقاد، ونام الخلخال إذا انقطع صوته^(١١).

مما سبق نخلص إلى أن النوم في اللغة يطلق على عدة معانٍ منها: الرقاد، النعاس، الاسترخاء، الجمود، سكون الحركة، الموت الخفيف، القتل، كما أنه يطلق مجازاً على: كساد السوق، سكون الريح، انطفاء النار، هدوء البحر، الغفلة عن الشيء، التواضع لله، وغيرها.

ثانياً: تعريف النوم اصطلاحاً:

مما لا شك فيه ان للنوم في الاصطلاح تعريفات كثيرة، قديماً وحديثاً، عند علماء المسلمين وعند غيرهم، كما أن العلم الحديث لا يزال يكتشف معلومات عن النوم، لم تكن معروفة عند السابقين، لهذا نلحظ التباين في التعريفات، وفي تحديد كنه النوم، وسيدكر الباحث هنا تعريفين للسابقين، وتعريفين للمتأخرين.

أولاً تعريف النوم عند السابقين:

عرفه الجرجاني: «أنه حالة طبيعية تتعطل معها القوى، بسبب ترقى البخارات إلى الدماغ»^(١٢)، وعرفه ابن القيم:

«حالة للبدن يتبعها غور الحرارة الغريزية والقوى إلى باطن البدن بطلب الراحة»^(١٣).

ثانياً: تعريف النوم عند المتأخرين:

عرفه معجم أكاديميا للمصطلحات العلمية: «النوم حالة من اللاوعي وانعدام النشاط النسيبي، تظهر الحاجة للنوم

دورياً عند جميع الحيوانات، فإذا حرم الإنسان من النوم يتعرض إلى حالة من الهلوسة والقلق الحاد، ويسهل بالتالي التأثير عليه،

(١٠)- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، ٣٨٠.

(١١)- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ١٥٠٣-١٥٠٤.

(١٢)- التعريفات، للجرجاني، ٢٤٨.

(١٣)- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ٤ / ٢١٩.

هدى القرآن الكريم في النوم - دراسة موضوعية -

وفي النهاية يتعرض للغيوبة، وينتج عنه في بعض الأحيان؛ الموت^(١٤)، وعرفه علماء الطب: «حالة طبيعية متكررة، يتوقف فيها الكائن الحي عن اليقظة، وتصبح حواسه معزولة نسبياً عما يحيط بها من أحداث»^(١٥).

وعند البحث في تعريفات النوم قديماً وحديثاً، وجد الباحث عشرات التعريفات^(١٦) من الواضح فيها أن تعريف السابقين للنوم فيه قصور، وذلك لعدم وضوح حقيقة النوم عندهم، أما المتأخرون والمعاصرون فالتعريف عندهم أقرب للصواب، ويرى المعاصرون أن تعريف النوم يجب أن يعكس المعايير الأربعة الرئيسة التي تميز النوم -معظمها لم يذكر عند السابقين-، وهي:

١- الحركة الضئيلة: فهذه تحدث للنائم، أما الحركة الضخمة كالمشي والكتابة عادة يمنعها النوم.

٢- نمطية الموقف: فعادة ينام الإنسان بأنماط معروفة، على جنبه أو ظهره أو جالساً، لكن لا ينام وهو واقف على يديه.

٣- ردود منخفضة على المؤثرات: فلا يستجيب للأصوات المنخفضة وهو نائم.

٤- الانعكاسية: فالنائم يستطيع أن يستيقظ من النوم، فهذا يميز النوم عن الموت، وربما عن الغيوبة أيضاً.

المطلب الثاني: اشتقاقات النوم.

وردت كلمة النوم باشتقاقاتها المختلفة تسع مرات، وذلك في المواضع التالية:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَأْسَا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾

[الفرقان: ٤٧].

(١٤)-معجم أكاديميا، ٥١٥.

(١٥)- النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن، د. حسان باشا، ٢٥.

(١٦)- انظر على سبيل المثال: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، ١/ ٧١٣، و القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، لسعدي أبو جيب،

د. شادي أحمد توفيق الملحم

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ [الروم: ٢٣].

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا

تَرَىٰ﴾ [الصفات: ١٠٢].

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

الموضع الثامن: قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٩]

الموضع التاسع: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبا: ٩].

وبعد إمعان النظر في تلكم المواضع، يخلص الباحث إلى ما يلي:

أولاً: وردت كلمة (النوم) باشتقاقاتها المختلفة في القرآن الكريم: تسع مرات، في تسع سور مختلفة.

ثانياً: توزعت مرات ورودها بين السور المكية والمدنية، إذ وردت في سبع سور مكية (الأعراف، الفرقان، الروم، الصفات، الزمر، القلم، النبا)، وفي سورتين مدنيتين (البقرة، الأنفال).

ثالثاً: توزعت مرات ورودها على نصفي المصحف الشريف، فقد جاءت ثلاثة مواضع في النصف الأول، وستة مواضع في النصف الثاني.

رابعاً: جاءت كلمة (النوم) في القرآن الكريم بثلاثة اشتقاقات فقط هي: المصدر (نوم، النوم، نومكم)، اسم الفاعل (نائمون) في موضعين، المصدر الميمي (المنام، منامك، منامكم، منامها) ولم ترد بصيغة الفعل إطلاقاً.

خامساً: جميع مواضع (النوم) التسعة، جاءت بالمعنى الحقيقي المعروف، ولم تأت بالمعنى المجازي أو بالاستعارة، كما يستخدمها العرب مع الريح أو النار أو السوق أو غيرها.

سادساً: جاء النوم في القرآن الكريم في ثمانية مواضع للإنسان؛ سواء كان لخير البشر محمد ﷺ (الأنفال)، أو لأحد الأنبياء عليهم السلام (الصفات)، أو لعموم الناس مسلمهم وكافرهم (الفرقان، الروم، الزمر، النبا)، أو في سياق الذم للكفار الغافلين (الأعراف والقلم) وهما في نفس الصيغة؛ اسم الفاعل، وورد مصطلح النوم في موضع واحد، في سياق نفي النقص عن الخالق سبحانه وتنزيهه عن النوم (البقرة)، ولم يرد إطلاقاً في الكائنات الحية الأخرى التي تنام أيضاً.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

المطلب الثالث: مرادفات النوم في القرآن الكريم.

أولاً: السنة:

من وسن يوسن سنة وسناً^(١٧)، وهي ابتداء النوم وليس ذات النوم^(١٨)، قال القرطبي: « السنة النعاس في قول الجميع، والنعاس ما كان من العين، فإذا صار في القلب صار نوماً»^(١٩).

وفترق المفضل بينهم فقال: « السنة من الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب»^(٢٠)، وقال عدي بن الرقاع^(٢١) في وصف امرأة بفتور النظر:

وسنان أقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم^(٢٢).

ووردت كلمة (السنة) في القرآن الكريم مرة واحدة بهذا الاشتقاق، في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وجاءت في سياق نفيها عن الخالق سبحانه وتعالى، تنزيهاً له عن النقص والضعف، فهو سبحانه لا تأخذه السنة كما تأخذ المخلوقات، وإن كان بعض المخلوقات لا تعتريه السنة، إلا أنه يعتريه النوم، فجاء كمال التنزيه للخالق سبحانه وتعالى بنفي الاثنين معاً، قال ابن عاشور: « ونفي السنة عن الله تعالى لا يغني عن نفي النوم عنه، لأن من الأحياء من لا تعتريه السنة، فإذا نام، نام عميقاً، ومن الناس من تأخذه السنة في غير وقت النوم غلبة»^(٢٣).

ثانياً: النعاس.

(١٧)- معاني القرآن، للأخفش، ١٣٠.

(١٨)- انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ١/١٢١.

(١٩)- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤/ ٢٧٠.

(٢٠)- النكت والعيون، للمواردي، ١/٣٢٤.

(٢١)- هو عدي بن زيد بن مالك، من عاملة، حي من قضاة، هاجى جريراً وكان شاعراً محسناً، انظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة،

٦١٨/٢، ومعجم الشعراء، للمرزباني، ٨٦.

(٢٢)- ذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن، ١/ ٧٨، وانظر: الكامل، للمبرد، ١/ ١٤٨، والأمامي، للقالي، ١/ ٢٢٨.

(٢٣)- التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢/ ٤٩٤.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

قال ابن فارس: «النون والعين والسين: أصل يدل على: وسن، ونعس ينعس نعاساً، وناقاة نعوس توصف بالسماحة بالدر، لأنها إذا درت نعست»^(٢٤).

ووردت كلمة النعاس في القرآن الكريم في موضعين فقط: أحدهما بلفظ (نعاساً) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وثانيهما بلفظ (النعاس) في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١]^(٢٥)، وكلاهما في سياق القتال ومنعوت بالأمن، وذلك في غزوتي أحد وبدر على الترتيب، قال ابن جزي: «والنعاس عند حضور القتال؛ علامة أمن من العدو»^(٢٦)، وقال ابن كثير: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «النعاس في القتال من الله، وفي الصلاة من الشيطان»^(٢٧).

وعلى ما سبق فإن لفظ النعاس يحتل المدح والذم، بحسب القرينة والمقام، وإن كان في غالبه مذموم لأنه علامة كسل وفتور، إلا أنه ممدوح في القتال، وهو علامة أمن واستقرار، وكذا ورد في القرآن الكريم.

ثالثاً: الرقود.

قال ابن فارس: «الراء والقاف والذال: أصل واحد يدل على النوم، ويشق منه»^(٢٨)، وذكر ابن منظور عدة معان للرقاد أو الرقود منها: النوم بالليل، أو النوم الطويل، أو المستطاب من النوم القليل^(٢٩)، وهذه المترادفة الوحيدة من مرادفات النوم،

(٢٤) - مقاييس اللغة، لابن فارس، ٩٠٧.

(٢٥) - قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (يغشاكم النعاس) برفع النعاس على الفاعلية، وقرأ نافع وأبو جعفر: (يغشاكم النعاس)، وقرأ الجمهور (يغشاكم النعاس) بنصب النعاس على المفعولية، انظر: كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ٢٢٨، جامع البيان في القراءات السبع، للداني، ١٥٩/٢، والمصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، للشهرزوري، ٣/٣٧٢، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ٤/٦٥ - ٦٦، والبدور الزاهرة، للنشار، ١/٣٧٢.

(٢٦) - التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ١/٣٣٩.

(٢٧) - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/٤٢٧.

(٢٨) - مقاييس اللغة، لابن فارس، ٣٤٨.

(٢٩) - لسان العرب، لابن منظور، ٢/١٢٠٥.

هدي القرآن الكريم في النوم - دراسة موضوعية -

التي ذكرها القرآن الكريم مع ضدها، وذلك في نفس الموضع من سورة الكهف، قال تعالى: ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨]، قال الأخفش: «أيقاظاً واحدهم اليقظ، وأما اليقظان فجماعه: اليقاظ»^(٣٠).

ولم يرد هذا الأصل في القرآن الكريم إلا في موضعين؛ أحدهما: في سورة الكهف - الذي سبق ذكره - وهو في وصف أهل الكهف الذين ناموا زمناً طويلاً - مئآت السنين - فسماه القرآن (رقود)، وثانيهما: في سورة يس في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَوَدُّونَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] وذلك على لسان الموتى عند خروجهم من قبورهم، فسموا تلك الحقبه الزمنية: مرقدنا، وظاهر الموضعين لكلمة (رقود) في القرآن الكريم أنهما للنوم الطويل، وهذا وارد في اللغة، لكنه ليس شرطاً للرقود، وإنما ما يحدد المعنى المراد هو السياق، ومما يدل على هذا ما ورد في حديث الرهط الثلاثة، حيث ورد فيه معنى الرقود على خلاف ما ورد في القرآن الكريم، حيث إن المعنى الأقرب فيه هو المستطاب من النوم القليل، عن أنس رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي، يسألون عن عبادة النبي، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً»، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٣١).

ومعلوم أن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في نومه أنه لم يكن نوماً طويلاً، فالمستطاب من النوم القليل هو الأقرب لمعنى الرقود في هذا الحديث والله أعلم، ولا تعارض بين ما في القرآن الكريم والحديث النبوي، فكل منهما متفق مع أصل لغوي، والسياق والسباق يوضحان المعنى المراد.

رابعاً: الهجوع.

قال ابن فارس: «الهاء والجيم والعين: كلمة تدل على نوم، وهجع هجوعاً: نام ليلاً»^(٣٢)، وقال ابن عاشور: «الهجوع: النوم الخفيف، وهو الغرار»^(٣٣)، وقال ابن جزي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنُورًا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾

(٣٠) - معاني القرآن، للأخفش، ٢٤٢.

(٣١) - رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم (٤٧٧٦).

(٣٢) - مقاييس اللغة، لابن فارس، ٩٣١.

(٣٣) - التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٧ / ٢٧.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

[الذاريات: ١٧]: « المهجوع: النوم، وفي معنى الآية قولان؛ أحدهما وهو الصحيح: أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل، ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع والدعاء، والآخر: أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيراً »^(٣٤).

ولم ترد هذه الكلمة إلا في موضع واحد في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧]، وجاءت في معرض مدح المتقين المحسنين، الذين من أخص صفاتهم قلة نومهم، وإحياء ليلهم بالصلاة والاستغفار، وأما ما ذكره بعض العلماء^(٣٥)، في معنى الآية أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيراً، فهذا مخالف لظاهر الآية ولمنهج النبي ﷺ، وسيأتي تفصيل الرد على هذا القول في مطلب: النوم في الليل.

خامساً: الاضجاع.

وهو من ضجع يضجع ضجوعاً، قال ابن فارس: « الضاد والجيم والعين: أصل واحد يدل على لصوق بالأرض على جنب »^(٣٦)، وقال أبو حيان: « المضاجع أماكن الاتكاء للنوم، الواحد مضجع »^(٣٧)، وقال ابن عاشور: « المضاجع: الفرش، جمع مضجع وهو مكان الضجع أي: الاستلقاء للراحة والنوم »^(٣٨).

وقال عبد الله بن رواحة:

نبي تجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع^(٣٩).

وورد هذا الأصل (ضجع) في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ مرتين بلفظ (المضاجع) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ نَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ ﴾ [النساء: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦]، وهما هنا بمعنى مكان النوم^(٤٠)، وأما الموضع الثالث فجاء بلفظ

(٣٤) - التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ٣٧١/٢.

(٣٥) - انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢٥٠/٤.

(٣٦) - مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥٢٤.

(٣٧) - البحر المحيط، لأبي حيان، ٢٥٩ / ١٧.

(٣٨) - التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٦١ / ٢١، وانظر: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، ٤٨٥ / ١٥.

(٣٩) - انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٦١٣ / ١٨، والبحر المحيط، لأبي حيان، ٢٥٩ / ١٧.

(٤٠) - انظر: فتح القدير، للشوكاني، ٢٩٥.

هدي القرآن الكريم في النوم - دراسة موضوعية -

(مضاجعهم) في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وهو هنا بمعنى مكان مصرعهم، أي موتهم وهو النوم الأكبر^(٤١)، فللملاحظ أن هذا الأصل في مواضعه الثلاثة، جاء باسم المكان فقط.

سادساً: الوفاة.

قال ابن فارس: «الواو والفاء والحرف المعتل: كلمة تدل على إكمال وإتمام، منه الوفاء، وإتمام العهد، وإكمال الشرط...، ومنه يقال للميت: توفاه الله»^(٤٢).

وقد ورد هذا الأصل في القرآن الكريم أربعة وعشرين مرة^(٤٣) كلها بمعنى الموت، أو الوفاة الكبرى، كقوله تعالى: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ [النحل: ٢٨]، إلا في موضع واحد فجاء هذا الأصل بمعنى الموت الأصغر وهو النوم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠]، قال أبو حيان: «والتوفي عبارة في العرف عن الموت، وهنا المعنى به النوم على سبيل المجاز، للعلاقة التي بينه وبين الموت، وهي زوال إحساسه، ومعرفته وفكره، ولما كان التوفي المراد به النوم سبباً للراحة، أسنده تعالى إليه، ولما كان بمعنى الموت مؤملاً، قال: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١]، وقال: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ [النساء: ٩٧]»^(٤٤).

(٤١) - انظر: فتح القدير، للشوكاني، ٢٥٠.

(٤٢) - مقاييس اللغة، لابن فارس، ٩٦٢.

(٤٣) - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ٩٢٤.

(٤٤) - البحر المحيط، لأبي حيان، ٢٠٣/٩، وانظر: تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي، ١٧١.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

وهذه لفظة جميلة من أبي حيان، ولكن عندما تتبع الباحث المواضع التي ورد فيها لفظ الوفاة، تبين أن تلك اللطيفة ليست مضطربة، بل ثمة آيات كثيرة أسندت الوفاة التي بمعنى الموت للخالق سبحانه مثل: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]، و﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [يونس: ١٠٤]، وغيرها كثير، فلا يسلم له في ذلك.

وقال الألوسي في معنى الوفاة هنا: «أي ينيكم فيه كما نقل عن الزجاج والجبائي، ففيه استعارة تبعية، حيث استعير التوفي من الموت للنوم، لما بينهما من المشاركة في زوال إحساس الحواس الظاهرة والتميز، وقيل والباطنة أيضاً»^(٤٥)، وقال الشنقيطي: «ذكر في هذه الآية الكريمة أن النوم وفاة، وأشار في موضع آخر إلى أنه وفاة صغرى، وأن صاحبها لم يمّت حقيقة، وأنه تعالى يرسل روحه إلى بدنه، حتى ينقضي أجله، وذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]»^(٤٦).

الخلاصة: أن كلمة الوفاة تطلق على النوم من باب المجاز أو الاستعارة، للعلاقة التي بينه وبين الموت، أما أصل الكلمة فلا تطلق على النوم.

سابعاً: القيلولة.

قال ابن فارس: «القاف والياء واللام أصل كلمه: الواو...، ومما شذ عن هذا الأصل القيل: شرب نصف النهار، والقائلة: نوم نصف النهار»^(٤٧)، وفي تفسير الجلالين: «والقيلولة استراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم»^(٤٨).

ولم يرد أصل القيلولة في القرآن الكريم إلا في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَانٍ بَيْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، وثمة مواضع أخرى في القرآن الكريم تشير إلى القيلولة دون التعبير بلفظها، كقوله تعالى: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ [النور: ٥٨]، فالآية اعتبرت هذا الوقت أحد أوقات النوم الثلاثة، وهو وقت الظهيرة أو القيلولة دون نص على أنه قبل أو بعد الظهيرة، فهي تشمل الوقتين معاً، ومن الآيات التي تشير

(٤٥) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ٢٢٥/٧، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ٢٧٣/١.

(٤٦) - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، ٢٣٥ / ٢، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٦٠ / ٤.

(٤٧) - باختصار من: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٧٥٨.

(٤٨) - تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، ١٩٣.

هدي القرآن الكريم في النوم - دراسة موضوعية -

إلى القيلولة أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ﴾ [الروم: ٢٣]، قال الرازي: « قيل أراد به النوم بالليل، والنوم بالنهار وهي القيلولة »^(٤٩)، فمثل هذه المواضع أصح وأبين مما ذهب إليه الأزهرى في موضع الفرقان وهو في قوله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤]، قال الأزهرى: « القيلولة: الراحة، وإن لم يكن فيها نوم بدليل قوله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤]، والجنة لا نوم فيها»^(٥٠).

ورد عليه « بأن ما ذكر ليس فيه دليل إلى ما ذهب إليه، لأن المقيّل هنا خرج عن موصوفه الأصلي إلى مجرد الإقامة، بدليل أنه لا يراد أيضاً الاستراحة في نصف النهار في الحر، فقد خرج عن موضوعه عندنا وعندكم إلى ما ذكرنا »^(٥١)، فالاعتراض هنا على الأزهرى في الدليل، وليس في أن القيلولة فيها نوم أو ليس فيها نوم، لأن هذا مما يتسع فيه الخلاف.

ثامناً: البيات.

قال ابن فارس: « الباء والياء والتاء: أصل واحد، وهو المأوى والمأب، ومجمع الشمل... وبيّت الأمر: إذا دبره ليلاً، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [النساء: ١٠٨] »^(٥٢)، وقال الزجاج: « كل من أدركه الليل قيل: بات، وإن لم ينم كما يقال: بات فلان قلقاً »^(٥٣)، وقال أبو حيان: « البيتوتة: أن يدركك الليل نمت أو لم تنم، ويقال لها: الظلول وهو أن يدركك النهار »^(٥٤).

وقد ورد هذا الأصل في القرآن الكريم ثمان مرات في خمس سور^(٥٥)، بخمسة اشتقاقات وهي: (بيبتون، بياتاً، يبيبتون، بيّت، لنبيبتنه)^(٥٦)، وكلها جاءت بالمعنى اللغوي المعروف لها، لهذا فقد جاءت في سياقي المدح والذم، فمن بات ليله قائماً

(٤٩) - التفسير الكبير، للرازي، ٢٥ / ٩٣.

(٥٠) - تهذيب اللغة، للأزهري، ٩ / ٣٠٥.

(٥١) - انظر: الدر المصون، للسمين الحلبي، ٣ / ٢٣٤، وحاشية الشهاب على البيضاوي، للخفاجي، ٤ / ١٤٩.

(٥٢) - مقاييس اللغة، لابن فارس، ١٢٠.

(٥٣) - معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، ٤ / ٧٥.

(٥٤) - البحر المحيط، لأبي حيان، ١٦ / ٢٣٦، وانظر: تفسير ابن باديس، ١٩٩.

(٥٥) - المواضع هي: النساء: ٨١ (مرتين)، النساء: ١٠٨، الأعراف: ٤، الأعراف: ٩٧، يونس: ٥٠، الفرقان: ٦٤، النمل: ٤٩.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

مصلياً مدح، كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴾ [الفرقان: ٦٤]، ومن بات ليله يخطط ويدبر للشرف فهو مذموم، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [النمل: ٤٩].

تاسعاً: البرد.

قال ابن فارس: «الباء والراء والذال: أصول أربعة؛ ... وأما الأصل الآخر: فالبرد: النوم، ... ، ويقولون: برد الرجل إذا مات فيحتمل أن يكون من هذا»^(٥٧)، فالبرد بمعنى النوم من أصل اللغة ومعانيها، قال الشاعر:

فلو شئت حرمت النساء سواكم ... وإن شئت لم أطعم لقاحاً ولا برداً^(٥٨).

ومنه قول العرب: منع البرد البرد؛ أي أذهب البرد النوم^(٥٩)، وقد ذكر هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ [النبا: ٢٤]، مفسرون كثير^(٦٠)، قال ابن جزي: «وقيل البرد هنا: النوم، والأول أظهر»^(٦١)، يقصد المعنى المتبادر للذهن، وقال الزجاج: «لا يذوقون فيها برد ریح، ولا برد نوم، ولا برد ظل، فجعل البرد كل شيء له رائحة»^(٦٢).

أما تفسير الجلالين فقد ذكر في تفسير البرد هنا: أنه النوم، فقال: «نوماً، فإنهم لا يذوقونه»^(٦٣)، فاعتبر هذا المعنى هو الأصل وهو المقصود، إذ لم يذكر غيره، وأما ما ذهب إليه العلامة ابن عاشور من تضعيف لهذا المعنى، وجعله من التكلف

(٥٦) - انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ١٧٨ - ١٧٩.

(٥٧) - مقاييس اللغة، لابن فارس، ٩٠.

(٥٨) - البيت لعبد الله بن عمرو بن عثمان الملقب بالعرجي نسبة لعرج الطائف، والنقاخ (بالقاف والحاء المعجمة): الماء العذب البارد، البرد: النوم، انظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، ٢ / ٥٢٦.

(٥٩) - اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، ٢٠ / ١٠٦.

(٦٠) - منهم على سبيل المثال: ابن كثير، انظر: تفسيره، ٤ / ٤٩٥، والشوكاني، انظر: تفسيره، ١٥٧٦.

(٦١) - التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ٢ / ٥٢٩.

(٦٢) - اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل، ٢٠ / ١٠٧.

(٦٣) - تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، ٧٨٧.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

بقوله: «وعن مجاهد والسدي وأبي عبيدة ونفر قليل تفسير البرد بالنوم، وأنشدوا شاهدين غير واضحين، وأياً ما كان فحمل الآية عليه تكلف لا داعي إليه»^(٦٤)، فهو غير مقبول، ومخالف لما ثبت في اللغة، ولما قرره كثير من المفسرين السابقين.

عاشراً: الهجود.

قال ابن فارس: «الهاء والجيم والذال: أصيل يدل على ركود في مكان، يقال: هجد إذا نام هجوداً، والهجد: النائم، وإن صلى ليلاً فهو متهدج، كأنه بصلاته ترك الهجود عنه»^(٦٥)، وقال الواحدي: «الهجود في اللغة: النوم»^(٦٦)، ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته:

وبرك هجود قد أثارت مخافتي ... بواديهما أهش بعضيب مجرد^(٦٧).

قال ابن عادل الحنبلي: «والتهجد ترك الهجود وهو النوم، و (تفعل) يأتي للسلب نحو: تحرج وتأثم، وفي الحديث: (كان يتحنث بغار حراء)^(٦٨)، وفي الهجود خلاف بين أهل اللغة، فقليل هو النوم، فهجود: نيام جمع هاجد، كساجد وسجود، وقيل الهجود مشترك بين النائم والمصلي، قال ابن الأعرابي: تهجد: صلى من الليل، وتهجد: نام»^(٦٩).

والأزهري رحمه الله قام بتوضيح أصل هذه الكلمة بقوله: «المعروف في كلام العرب أن الهاجد هو النائم، ثم رأينا في الشرع أن من قام إلى الصلاة من النوم يسمى هاجداً، أي متهدجاً، فيحمل هذا على أنه سمي متهدجاً؛ لإلقائه الهجود عن نفسه، كما يقال للعابد (متحنث)؛ لإلقائه الحنث عن نفسه»^(٧٠).

ولم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم إلا في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، ولا يخفى أنها جاءت هنا بمعنى ترك النوم (الهجود)^(٧١).

(٦٤) - التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٣٠ / ٣٤.

(٦٥) - مقاييس اللغة، لابن فارس، ٩٣٠.

(٦٦) - التفسير الكبير، للرازي، ٢١ / ٣٨٦.

(٦٧) - ديوان طرفة بن العبد، ٣٨، وانظر: شرح القصائد العشر، للتبريزي، ١٩٢.

(٦٨) - رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٣).

(٦٩) - بتصريف من: اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، ١٢ / ٣٦٠ - ٣٦١.

(٧٠) - التفسير الكبير، للرازي، ٢١ / ٣٨٦.

(٧١) - انظر: فتح القدير، للشوكاني، ٨٣٨.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

حاي عشر: السكون.

قال ابن فارس: «السين والكاف والنون: أصل واحد مطرد، يدل على خلاف الاضطراب والحركة، يقال: سكن الشيء يسكن سكوناً فهو ساكن»^(٧٢)، وقال الواحدي: «السكون ثبوت الشيء بعد تحركه»^(٧٣).

فأصل السكون يفيد عموم الثبوت بعد التحرك، وهو خلاف الاضطراب والحركة، ولكنه جاء في ستة مواضع في القرآن الكريم يشير إلى النوم الذي هو ثبوت بعد حركة، ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣]، قال الطبري: «فخالف بينهما، فجعل هذا الليل ظلاماً، لتسكنوا فيه وتهدؤوا وتستقروا لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف، الذي تتصرفون نهاراً لمعايشكم»^(٧٤).

ومن المواضع أيضاً قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، قال ابن كثير في تفسيرها: «وقال صهيب الرومي رضي الله عنه لامرأته، وقد عاتبته في كثرة سهره: إن الله جعل الليل سكوناً إلا لصهيب، إن صهيباً إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طار نومه»^(٧٥)، وفي كلام صهيب رضي الله عنه هنا تصريح بأن المراد بالسكن هو النوم، فإطلاق السكن على النوم في هذه المواضع وغيرها من باب المجاز^(٧٦).

(٧٢) - مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤١١.

(٧٣) - المفردات في غريب القرآن، للراغب، ٢٤٢.

(٧٤) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٨ / ٣٠٦.

(٧٥) - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١٦٤ / ٢.

(٧٦) - أما المواضع الستة التي فيها السكن بمعنى النوم فهي: الأنعام: ٩٦، يونس: ٦٧، القصص: ٧٢، القصص: ٧٣، النمل: ٨٦، غافر:

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

المبحث الثاني: القواعد القرآنية في النوم.

عند استقراء آيات النوم ومرادفاته في القرآن الكريم، استخلص الباحث خمس قواعد وثوابت تتعلق بالنوم، سيدرسها هذا المبحث في خمسة مطالب:

المطلب الأول: الخالق سبحانه لا ينام.

لما كان النوم فيه تعطيل للحواس، وضعف للإدراك؛ فإنه من علامات النقص التي تناسب المخلوقين، وتلاءم مع فطرتهم، أما الخالق سبحانه وتعالى المنزه عن كل نقص، والمترفع عن كل عيب، فلا يأخذ نوم، ولا حتى مقدمات النوم من نعاس ونحوه، فرينا سبحانه وتعالى لا يتعب حتى ينام، وليس كمثلته شيء وهو السميع البصير.

وشاءت حكمة الخالق سبحانه، أن جعل الليل لباساً والنوم سباتاً، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٧]، وذلك من عظيم الامتنان على خلقه، لأنهم بحاجة إليه، فلا تستقيم حياتهم إلا به، قال الشنقيطي: « وأما جعله لهم النوم سباتاً، فأكثر المفسرين على أن المراد بالسبات: الراحة من تعب العمل بالنهار، لأن النوم يقطع العمل النهاري، فينقطع به التعب وتحصل الاستراحة »^(٧٧).

والآية الدالة على أن الخالق سبحانه لا ينام هي قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال الطبري: « وإنما عني -جل ثناؤه- بقوله: (لا تأخذه سنة ولا نوم) لا تحله الآفات، ولا تناله العاهات، وذلك أن السنة والنوم معنيان يغمران فهم ذي الفهم، ويزيلان من أصاباه عن الحال التي كان عليها قبل أن يصيباه ... ، فلا يغيره ما يغير غيره، ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الأحوال، وتصرف الليالي والأيام، بل هو الدائم على حال، والقيوم على جميع الأنام، لو نام لكان مغلوباً مقهوراً، لأن النوم غالب النائم قاهره »^(٧٨).

قال ابن تيمية في تعليل ذلك: « وهذا يتضمن كمال الحياة والقيومية، فإن السنة والنوم نقص في الحياة والقيومية، والنوم أخو الموت، ومن نام لم يمكنه حفظ الأمور، فهو سبحانه منزّه عن السنة والنوم تنزيهاً يستلزم كمال حياته وقيوميته، والحياة

(٧٧) - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، ٣٦٩/٦.

(٧٨) - باختصار من جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٥٣٣/٤.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

والقيومية من الإثبات»^(٧٩)، وقال الطبري: « لا يأخذه نعاس فينعس، ولا نوم فيستثقل نوماً، والوسن: خثورة النوم، ومنه قول عدي بن الرقاع:

وسنان أقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم»^(٨٠).

وبعد أن ذكر القرطبي أقوالاً عدة في التفريق بين السنة والنوم والنعاس، قال عن السنة: « وبالجملة فهو فتور يعتري الإنسان، ولا يفقد معه عقله، والمراد بهذه الآية: أن الله تعالى لا يدركه خلل، ولا يلحقه ملل بحال من الأحوال»^(٨١).

وأما عن حكمة نفي السنة والنوم معاً، وعدم الاكتفاء بنفي احدهما، فأفضل من أجاب عن هذا: ابن عاشور بقوله: «ونفي السنة عن الله تعالى لا يغني عن نفي النوم عنه، لأن من الأحياء من لا تعتريه السنة، فإذا نام، نام عميقاً، ومن الناس من تأخذه السنة في غير وقت النوم غلبة»^(٨٢).

الخلاصة: أن الله سبحانه وتعالى لا ينام، ولا تأخذه مقدمات النوم، فهو المنزه عن النقص والضعف، وفي هذا دليل على أن النوم علامة ضعف وعجز.

المطلب الثاني: لا نوم في الآخرة.

فهذه قاعدة ثابتة في السنة النبوية، وأدلتها كثيرة معروفة منها: عن جابر رضي الله عنه قال: سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقيل: يا رسول الله، أينام أهل الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون)^(٨٣).

وكذلك تؤخذ هذه القاعدة من حديث مسلم (يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار... يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت)^(٨٤)، لأن النوم شبيه الموت.

(٧٩)- تفسير ابن تيمية، ٥٨٩/١.

(٨٠)- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٤/ ٥٣٠، والبيت في: مجاز القرآن، لأبي عبيدة، ٧٨/١، والكامل، للمبرد، ١/ ١٤٨.

(٨١)- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٤/ ٢٧٠، وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ١/ ٣٤٠.

(٨٢)- التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢/ ٤٩٤.

(٨٣)- أخرجه الطبراني في الأوسط، رقم (٩١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، رقم (٤٤١٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١٠٨٧).

(٨٤)- رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (٢٨٤٩).

هدي القرآن الكريم في النوم - دراسة موضوعية -

ولكن المراد هنا إثبات هذه القاعدة من خلال القرآن الكريم، وسأكتفي بذكر دليل واحد على نفي النوم عن أهل الجنة، ودليل آخر على نفيه عن أهل النار، فأما ما يدل على عدم نوم أهل الجنة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥]، قال السعدي: «ويهيء لهم من أسباب الراحة على الدوام، ما يكونون بهذه الصفة، بحيث لا يمسه نصب ولا لغوب ولا هم ولا حزن، ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة، لأن النوم فائدته زوال التعب، وحصول الراحة به، وأهل الجنة بخلاف ذلك، ولأنه موت أصغر، وأهل الجنة لا يموتون»^(٨٥).

وأما الدليل على عدم نوم أهل النار فهو في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبا: ٢٤]، وقد سبق بيان معنى البرد هنا بأنه النوم على أحد الأقوال، وذلك في مرادفات النوم، وهنا قد يرد إشكال على نفي نوم أهل النار من حديث أبي ذر قال: مرّ بي النبي ﷺ، وأنا مضجع على بطي، فركضني برجله وقال: (يا جنيدب، إنما هذه ضجعة أهل النار)^(٨٦)، فقد يوهم هذا الحديث أن أهل النار ينامون، والجواب عنه من وجهين؛ أولهما: أن المراد هنا أن هذه الضجعة والطريقة هي صفة نوم الكفار في الدنيا، الذين هم أهل النار في الآخرة، وقد نهينا عن التشبه بهم، لا أن لأهل النار نومة أو ضجعة في جهنم، قال ملا القاري: «عادة الكفار أو الفجار في هذه الدار»^(٨٧)، وثانيهما: أن هذا من باب التشبيه والإشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْجَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨]، وليس المراد حقيقة النوم، وإنما التشبيه في الهيئة خاصة أن الحديث استخدم لفظ (الضجعة) وليس النوم.

المطلب الثالث: النوم يذكر بالموت.

إن فوائد النوم وحكمه كثيرة متعددة، من راحة الجسم وقطع العمل واستعادة النشاط وغيرها، ولعل من أبرز حكمه وفوائده أيضاً؛ ما يغفل عنه كثير من الناس، ولا يتنبهون له، وهو التذكير بالموت، ليبقى الإنسان مستعداً للقاء ربه في كل يوم، فالإنسان ربما يقضي ثلث عمره أو يزيد في النوم، وهو لا يشعر بما حوله، منقطع عن العمل والكلام، فجاء القرآن الكريم

(٨٥) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٤ / ٣٩٠.

(٨٦) - رواه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب النهي عن الاضجاع على الوجه، رقم (٣٧٢٤)، وصححه الألباني.

(٨٧) - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري، ١١ / ٨.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

ليربي المسلمين على الاستعداد للموت من خلال النوم، فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

فإن الله سبحانه يقبض الروح عند انقضاء أجلها بالموت، ولا ترجع إلا يوم القيامة، ويسمى ذلك: الموت، أو الوفاة الكبرى، وهو يحدث مرة واحدة للإنسان، قال تعالى: ﴿لَا يَدْرُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وأما القبض الثاني للروح فيكون قبضاً مؤقتاً، بحيث ترجع الروح إلى الجسد مرة أخرى، وذلك في حالة النوم أو الوفاة الصغرى، فالموت والنوم كلاهما فيه قبض للروح، وهذا فيه تربية وتذكير للمسلم، ليذكر الموت عند كل نوم، واستيقاظ منه، ومن هدي النبي ﷺ عند الاستيقاظ من النوم: (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور) (٨٨).

ومن الآيات الكريمة التي تربط بين النوم والموت كذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، فسمى النوم وفاة—وقد سبق الكلام عن هذا في مرادفات النوم—، قال أبو حيان: « والتوفي عبارة في العرف عن الموت، وهنا المعنى به النوم على سبيل المجاز للعلاقة التي بينه وبين الموت، وهي زوال إحساسه ومعرفته وفكره، ولما كان التوفي المراد به النوم سبباً للراحة، أسنده تعالى إليه، ولما كان بمعنى الموت مؤلماً، قال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ﴾ [النساء: ٩٧]» (٨٩)، وهذا ملحظ جميل، لكنه ليس مضطرباً، كما سبق بيان ذلك في مرادفات النوم، وفيه أيضاً إشارة إلى أن الناس يشتركون في الراحة عند قبضة النوم، ويختلفون فيها عند قبضة الموت.

ومن الآيات كذلك التي تربط بين النوم والموت، قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فعبرت الآية عن مكان الموت بمكان النوم، لاشتراكهما وتشابههما بأشياء

(٨٨) - رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٧٠٦٢).

(٨٩) - البحر المحيط، لأبي حيان، ٢٠٣/٩، وانظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، ١٧١.

هدى القرآن الكريم في النوم - دراسة موضوعية -

كثيرة، إذ إن المضاجع: أماكن النوم أو الموت الأصغر^(٩٠)، ولكن هنا جاءت مع النوم الأكبر أو الموت، والذي يسمى مكانه عادة بالقبر.

وأوجه الشبه بين النوم والموت كثيرة، وإن مما يغفل عنه الناس أيضاً من هذه العلاقة الوطيدة بينهما: الرؤى والأحلام، فإن النائم مع أنه في الظاهر لا يرى ولا يسمع ولا يشعر بمن حوله، إلا أنه يرى في منامه رؤى وأحلاماً فيسمع فيها أصواتاً، ويرى الأشياء والألوان، ويفترق بينها، وينظر إلى أحداث ومشاهد، وكل هذا لا يراه من حوله، ولا يشعر به سواه، حتى إن النائمين معه في نفس المكان لا يرون نفس الرؤيا والحلم^(٩١)، ثم بعد الاستيقاظ تبقى هذه المشاهد في ذاكرة الإنسان، فهل أوضح من هذه العلاقة بين النوم والموت، أليس الميت يسمع ويرى ما لا يسمعه ويراه الأحياء، بل وحتى ما لا يسمعه ويراه من حوله من الأموات.

قال الزمخشري في آية الفرقان: « وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها إظهار لنعمه على خلقه، لأن الاحتجاب بستر الليل، كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية وديوية، والنوم واليقظة شبههما بالموت والحياة، وعند لقمان أنه قال لابنه: كما تنام فتوقظ، كذلك تموت فتنشئ^(٩٢) ».

والقرآن الكريم تكلم عن الرؤى والأحلام في آيات كثيرة، وفرق بين الرؤى الصالحة التي تأوّل وتفسّر، وبين الأحلام التي هي أضغاث - وخصص البحث مطلباً لذلك -، والكلام يطول عن أوجه الشبه بين النوم والموت، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

المطلب الرابع: في النوم علامات للصالح.

مما لا يختلف فيه اثنان، أن النوم يشترك فيه المسلم والكافر، البر والفاجر، هذا في الظاهر، ولكن شاءت حكمة الله سبحانه أن يجعل هذه الآية العظيمة -النوم-، من علامات تمييز الصالحين عن غيرهم، وذلك عن طريق الرؤى التي يراها النائم، وقد ذكر القرآن الكريم أنواعاً من الرؤى والأحلام، في مواضع متعددة، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسِهِمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح:

(٩٠) - انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥٢٤، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢١ / ١٦١.

(٩١) - انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٨ / ٦١٢.

(٩٢) - الكشاف، للزمخشري، ٤ / ٣٥٤.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

[٢٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَكَابُتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٤﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٢٥﴾ وَتَلَدَيْنَهُ أَن يَكَابِرَهِيمُ ﴿١٢٦﴾ قَدْ صَدَّقَت الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٧﴾ [الصفات: ١٠٢ - ١٠٥].

فهاتان الرؤيتان من الوحي، إذ هما من رؤى الأنبياء، قال القرطبي: « رأى ذلك إبراهيم عليه السلام ثلاث ليال متتابعات، وقال محمد بن كعب، كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى، أيقاظاً ووقوداً، فإن الأنبياء لا تنام قلوبهم، وهذا ثابت في الخبر المرفوع، قال رسول الله ﷺ: (إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا) (٩٣)، وقال ابن عباس: رؤيا الأنبياء وحي، واستدل بهذه الآية» (٩٤)، وفي الحديث: (يا عائشة: إن عيني تنامان، ولا ينام قلبي) (٩٥).

وأشار القرآن الكريم إلى نوع ثان من الرؤى، وهو ما يسمى الأحلام والتي هي صور من الخيال في حالة النوم، تعكس ما يراه الإنسان في حال اليقظة (٩٦)، وهي التي لا يبنى عليها عمل، ولا تدل على صلاح أو غيره، قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَلِيمِينَ ﴿٤٤﴾ [يوسف: ٤٤].

أما النوع الثالث من الرؤى، وهو المراد بهذا المطلب، وهو ما يدل على صلاح الإنسان وفضله، وهو من الأدلة التي يجدها المسلم في قلبه، تبشره في الدنيا، وتثبتته على طول الطريق ومشاقه، قال تعالى: ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿٦٤﴾ [يونس: ٦٤]، فعندما سئل أبو الدرداء عن هذه الآية: فقال ما سألتني عنها أحد غيرك إلا رجل واحد

(٩٣) - أخرج بهذا اللفظ ابن سعد في الطبقات، ١ / ١٧١، وفي صحيح البخاري: (وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم)، كتاب المناقب، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، رقم (٣٥٧٠).

(٩٤) - الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، ١٨ / ٦٥، وأثر ابن عباس رضي الله عنهما: أخرج الطبراني في المعجم الكبير، رقم (١٢٣٠٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن أبي مريم، وهو ضعيف، وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر: مجمع الزوائد، للهيثمي، ٧ / ١٧٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (١٧٠٥).

(٩٥) - رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل قيام النبي صلى الله عليه وسلم بالليل، رقم (١١٤٧)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، رقم (٧٣٨).

(٩٦) - انظر: مقدمة ابن خلدون، ٢٩٠.

هدى القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

منذ سألت رسول الله ﷺ، فسألت رسول الله ﷺ، فقال: (ما سألتني عنها أحد غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له) (٩٧).

وقال رسول الله ﷺ: (لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا وما المبشرات، قال: الرؤيا الصالحة) (٩٨)، ولعل من أبرز علامات الرؤيا الصالحة التي يفرح بها المؤمن، وتبشره بصلاحيته؛ رؤية الرسول ﷺ في المنام، ففي الحديث: (ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي) (٩٩)، ومما يساعد على وصول المسلم إلى هذه المرحلة؛ التفكير في أمور الخير، وصدق النية، والنوم على هدي القرآن الكريم، قال ابن عاشور بعد أن فسر المضاجع: « وهذا تعريض بالمشركين، إذ يمحضون ليلهم بالليل لا يصرفه عنهم تفكر، بل يسقطون كما تسقط الأنعام» (١٠٠).

وأما المسلم فينام على هدي القرآن الكريم، ولا يمضي ليله كله نائماً، ويشغل عقله في التفكير في أمر الدين والإسلام، فحري أن يبشر بمثل هذه الرؤى.

المطلب الخامس: النوم راحة للناس.

أشار القرآن الكريم إلى أن من نعم الله علينا وكرمه ومنه: أن جعل النوم سباتاً، وذلك في موضعين، هما: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٧]، و﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبا: ٩]، والسبات: الراحة والسكون والقطع (١٠١)، والنوم يحقق هذه الثلاثة، فإن الإنسان بعد عمل النهار وكده، لا بد له من قطع لهذا العمل وسكون وراحة، وهذا لا يتأتى إلا بالنوم، وذلك بطريقة سهلة يسيرة غير مكلفة، قال الرازي: « والسبات هو الراحة،

(٩٧)- رواه الترمذي، كتاب الرؤيا عن رسول الله ﷺ، باب قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا، رقم (٢٢٧٣)، وقال الألباني: صحيح، ص ٥١٥، وابن ماجه، كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، رقم (٣٨٩٨)، وأحمد في المسند، رقم (٢٢٦٨٧)، وقال محققو المسند صحيح لغيره.

(٩٨)- رواه البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، رقم (٦٥٨٩).

(٩٩)- رواه البخاري، كتاب التعبير، باب من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، رقم (٦٥٩٣)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب قول النبي من رآني في المنام فقد رآني، رقم (٢٢٦٦).

(١٠٠)- التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢١ / ١٦١.

(١٠١)- انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٢٥، والمفردات في غريب القرآن، للراغب، ٢٢٧.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

وجعل النوم سباتاً لأنه سبب للراحة»^(١٠٢)، وقال في تفسيره لموضع النبأ، وهو يسرد معاني (سباتاً): «إن الإنسان إذا تعب ثم نام، فذلك النوم يزيل عنه ذلك التعب، فسميت تلك الإزالة: سباتاً وقطعاً»^(١٠٣).

ولعل معظم الناس لا يشعرون بعظيم هذه النعمة عليهم، فهم مع نومهم كل ليلة، وشعورهم بالراحة كل صباح بعد تعب وعناء النهار، إلا أنهم يغفلون عن دور النوم في هذه الراحة، من هنا جاء القرآن الكريم مذكراً للناس، محفزاً لهم، فالنعم تدوم بالشكر، ولعل أكثر من يعرف قيمة هذه النعمة؛ من حرّمها بسبب المرض أو الشغل، فبعض الناس يدفع ماله من أجل أن ينام ويستريح، وهذا ما يفسر حث الإسلام على النوم عند الحاجة إليه، حتى لو كان الإنسان يصلي، أو يذكر ربه، قال ﷺ: (إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد، حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس، لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه)^(١٠٤)، فهذا الحديث مع التوجيه بالتصرف الصحيح عند النعس، فإنه يعلل ويذكر بعض مخاطر وأضرار عدم النوم عند الحاجة إليه، وهنا الكلام بما لا يعقل ولا يفهم، وهو ما يسميه العلم الحديث (الهلوسة)، وقد ذكر العلماء أضراراً كثيرة لعدم النوم عند الشعور به^(١٠٥) - وليس هذا مكان بسطه-، منها الأضرار الصحية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها، فسبحان من جعل النوم سباتاً وراحة.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن مع أهمية النوم البالغة، وضرورة النوم عند الحاجة إليه، فهذا لا يعني الإكثار منه والإفراط فيه، فلا بد من التوسط، واتباع هدي القرآن الكريم والسنة النبوية في مقدار النوم، وقد بيّن البحث ذلك في مطلب: عدد ساعات النوم.

(١٠٢) - التفسير الكبير، للرازي، ٢٤ / ٤٦٥.

(١٠٣) - التفسير الكبير، للرازي، ٣١ / ٩، وانظر: فتح القدير، للشوكاني، ١٥٧٤.

(١٠٤) - رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء من النوم، رقم (٢١٢)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته، رقم (٧٨٦).

(١٠٥) - للاطلاع على هذه الأضرار انظر: حقيقة النوم ووقفات وتأمّلات، ليويسف أبو عواد، ٢٦، والنوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن، د. حسان باشا، ٤٦.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

المبحث الثالث: الهدى القرآني في وقت النوم.

لأوقات النوم في القرآن الكريم عناية خاصة، وهدى قرآني يحسن النظر والتأمل فيه، والعمل بمقتضاه، وقد استخلص الباحث أربع نقاط رئيسة في ذلك الهدى، سيدرسها هذا المبحث في أربعة مطالب:

المطلب الأول: الأوقات المفضلة للنوم.

إن الناظر في حال الناس عموماً، يلحظ مشكلة كبيرة في موضوع النوم، وتحديدًا في مقداره -عدد ساعاته-، وأوقاته، وهذا المطلب يبحث هدى القرآن الكريم في أوقاته فقط، فكثير من المسلمين وبعضهم من طلبة العلم الشرعي، لا يتقيد بوقت النوم الذي أرشد إليه القرآن الكريم، ومن فضل الله علينا ورحمته أن شرع لنا ثلاثة أوقات للنوم في اليوم -ليلاً ونهاراً-، بحيث لا ينام الإنسان فترة طويلة فيصاب بالأمراض، كما أنه لو فاته أحد الأوقات المفضلة للنوم، وجد وقتاً آخرًا، وهذه الأوقات الثلاثة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ [النور: ٥٨].

وعندما جعل القرآن الكريم نوم الليل في وقتين، فهذا يفهم أنه لا ينبغي نوم الليل كله، بل لا بد فيه من الاستيقاظ للقيام وغيره، قال تعالى: ﴿كَأَنُوقًا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، فنومهم في الليل قليل، قال ابن جزري: «وفي معنى الآية قولان: أحدهما وهو الصحيح: أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل، ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع والدعاء، والآخر: أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيراً»^(١٠٦)، وأما القول الآخر الذي ذكره ابن جزري: أنهم لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيراً، فهذا مردود، مخالف لهدى القرآن الكريم والسنة النبوية، ولأوجه اللغة العربية الصحيحة، قال أبو السعود في نفس الآية: «أي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل، على أن قليلاً؛ ظرف، أو كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً، على أنه صفة للمصدر، و(ما) مزيدة في الوجهين، ... وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم، ذكر القليل، والليل الذي هو وقت الراحة، والهجوع الذي هو الغرار من النوم، وزيادة (ما)، ولا مساغ لجعل (ما) نافية، على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلاً، بل يحيونه كله، لما أن (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها»^(١٠٧).

(١٠٦)- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزري، ٢/ ٣٧١.

(١٠٧)- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، ٦/ ١٣٥.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

وعلى هذا فإن الليل وقتين للنوم؛ أولهما بعد العشاء، وثانيهما قبل الفجر، وقيام المسلم بينهما بحسب قدرته ونشاطه، وقد أكدت السنة النبوية هذا الهدى فعن الأسود قال: « سألت عائشة رضي الله عنها كيف كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل؟ قالت: كان ينام أولاً، ويقوم آخره، فيصلي ثم يرجع إلى فراشه، فإذا أذن المؤذن وثب، فإن كان به حاجة اغتسل، وإلا توضأ وخرج «(١٠٨)».

وأما الوقت الثالث للنوم فهو في النهار، والذي أشارت إليه آية النوم: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ [النور: ٥٨]، كما أشارت إلى هذا الوقت آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِعَاؤُكُمْ مِنَ الضَّلِيلَةِ﴾ [الروم: ٢٣]، قال الرازي: « منامكم بالليل والنهار: قيل أراد به النوم بالليل، والنوم بالنهار وهي القيلولة... وقدّم المنام بالليل على الابتغاء بالنهار في الذكر؛ لأن الاستراحة مطلوبة لذاتها، والطلب لا يكون إلا للحاجة، فلا يتعب إلا محتاج في الحال، أو خائف من المآل «(١٠٩)»، وقال أبو حيان: « والظاهر أن (بالليل والنهار) متعلق بمنامكم، فامتن تعالى بذلك، لأن النهار قد ينام فيه، وخصوصاً من كان مشغولاً في حوائجه بالليل «(١١٠)».

ومن الآيات الدالة على النوم في النهار أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأَسْنَاءٍ بِيَكْتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، قال الشنقيطي: « ومنهم من أهلكها وهم قائلون، أي في حال قيلولتهم، والقيلولة: الاستراحة وسط النهار «(١١١)».

وعند التأمل في هذه الأوقات، نلاحظ أن الوقتين الأولين محددان؛ فالأول بعد العشاء، والثاني قبل الفجر، أما الوقت الثالث فترك مفتوحاً (الظهيرة)، ليحتمل قبل وبعد الظهر، بحسب حال الإنسان وعمله، كما أرشدنا القرآن الكريم إلى جواز التخفف من الثياب أثناء النوم، ورتب أحكاماً على ذلك -درست في مطلب الاستئذان عند النوم- «(١١٢)».

(١٠٨) - رواه البخاري، كتاب التهجد، باب من نام أول الليل وأحيا آخره، رقم (١١٤٦).

(١٠٩) - التفسير الكبير، للرازي، ٢٥ / ٩٣.

(١١٠) - البحر المحيط، لأبي حيان، ١٧ / ١٧٠.

(١١١) - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، ٢ / ٣٤٠.

(١١٢) - للاستزادة انظر: انشراح الصدور في تدبر سورة النور، د. سليمان اللاحم، ٣٨٢ - ٣٩٤.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

وأما ما يفعله كثير من الناس من السهر طوال الليل، والنوم بعد الفجر، فلا تخفى مخالفته لهدي القرآن الكريم والسنة النبوية، وفيه إضاعة لوقت البركة في البكور، قال ﷺ: (اللهم بارك لأمتي في بكورها) (١١٣).

كذلك نهى النبي ﷺ عن النوم قبل العشاء (١١٤)، خوفاً من فوات صلاة العشاء جماعة، لقصر الوقت بين المغرب والعشاء، قال النووي: « وسبب كراهة النوم قبلها -أي العشاء- أنه يعرضها لفوات وقتها باستغراق النوم، أو لفوات وقتها المختار والأفضل» (١١٥).

فحري بالمسلم وبطالب العلم خصوصاً، أن يتقيد بهذه الأوقات اتباعاً لهدي القرآن الكريم، ونياً للأجر والثواب، وحفاظاً على الصحة والوقت.

المطلب الثاني: أعمال المؤمن في الليل خلا النوم.

فإن الليل وقت طويل، فهو نصف اليوم ينقص أو يزيد عنه قليلاً، وإن طبيعة الإنسان يمل من الدوام على عمل واحد، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجِعْ ﴾ [الشرح: ٧ - ٨]، ومن هنا يلحظ المنتبع لآيات النوم والليل في القرآن الكريم، أنها ترشدنا إلى جملة من الأعمال يقضي بها المسلم وقته، إضافة إلى النوم الذي هو مستقر في الأذهان وتطلبه الأبدان، وعند استقراء آيات القرآن الكريم، وجد الباحث أربعة أعمال رغب القرآن الكريم المسلم فيها، ليقضي ليله بأحسن طريقة، وهي:

أولاً: صلاة الفريضة في جماعة: فمن المعلوم أن في الليل ثلاث صلوات مفروضة -المغرب، والعشاء، والفجر-، فأفضل ما يعملها المسلم هو أداء الواجبات، وعلى رأسها الصلاة، وخير أدائها أن تكون جماعة في المسجد، وهذا مستنبط من قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾

(١١٣)- رواه الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التبكير في التجارة، رقم (١٢١٢)، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، رقم (٢٦٠٦)، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب ما يرجى من البركة في البكور، رقم (٢٢٣٦)، وصححه الألباني في حكمه على أحاديث الترمذي، ص ٢٨٩.

(١١٤)- انظر: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يكره من النوم قبل العشاء، رقم (٥٦٨)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها، رقم (٦٤٧).

(١١٥)- شرح النووي على صحيح مسلم، للنووي، ٢ / ٢٩١.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

[الإسراء: ٧٨]، قال الشوكاني: « قال المفسرون المراد بقرآن الفجر: صلاة الصبح، قال الزجاج: وفي هذه فائدة عظيمة، تدل على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة، حتى سميت الصلاة قرآناً»^(١١٦).

كما فهم أكثر من مفسر أن صلاة الفجر في جماعة هي المرادة من قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، كالإيجي^(١١٧)، والقنوجي^(١١٨)، وغيرهم، وتقاس بقية الصلوات المكتوبة على صلاة الفجر، وهذا توجيه جميل، إذ إن بعض الناس ينشغل في القيام والنافلة ثم يضيع الفريضة، والفجر والعشاء أثقل صلاتين على المنافقين، قال صلى الله عليه وسلم: (إن أثقل صلاة على المنافقين؛ صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأنتوهما ولو حبواً)^(١١٩)، وفي المحافظة عليهما جماعة براءة من النفاق.

ثانياً: قيام الليل: وهو العمل المتبادر إلى الذهن عند ذكر الليل، وهو أكثر الأعمال وقتاً، والآيات الدالة عليه كثيرة معروفة منها قوله تعالى: ﴿فُرُ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٠٠﴾ نِصْفَهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿١٠١﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿١٠٢﴾﴾ [المزمل: ٢-٣]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتُ عَائِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وقيام الليل لفظ عام لكل صلاة نافلة في جميع أوقات الليل، وثمة لفظ خاص وهو: التهجد، ويراد به الصلاة في الليل بعد النوم، فهو مأخوذ من الهجود: النوم - وقد سبق بيان معناه في مرادفات النوم-، ومن الآيات الدالة عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩]، وكذلك استنبط بعض المفسرين صلاة التهجد من قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، قال ابن عاشور: « ثم أتبع ذلك بأنهم يستغفرون بالسحر، أي فإذا آذن الليل بالانصرام، سألوا الله أن يغفر لهم، بعد أن قدّموا من التهجد ما يرجون أن يزلفهم إلى رضى الله تعالى، وهذا دل على هجوعهم

(١١٦) - فتح القدير، للشوكاني، ٨٣٧.

(١١٧) - انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، للإيجي، ٤ / ١٩١.

(١١٨) - انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي، ٦ / ٤١٤.

(١١٩) - رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، رقم (١٥١٤).

هدى القرآن الكريم في النوم - دراسة موضوعية -

الذي يكون في خلال الليل قبل السحر، فأما في السحر فهم يتهجدون، وليس المقصود طلب الغفران بمجرد اللسان، ولو كان المستغفر في مضجعه، إذ لا تظهر حينئذ مزية لتقييد الاستغفار بالكون في الأسحار»^(١٢٠)، وهذا استنباط لطيف.

ثالثاً: التسييح والاستغفار: فإن الإنسان قد يفتر من طول القيام، وقد يتعب من متابعة الصلاة، فأرشدنا القرآن الكريم إلى التسييح في الليل في ثلاث عشرة آية، بصيغ متعددة وألفاظ مختلفة، كلها على وجه الثناء والمدح، منها قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]، وغيرها^(١٢١).

كما خصت بعض الآيات؛ الاستغفار بعمل الليل، والمستغفرون هم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام، المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام^(١٢٢)، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿الصَّادِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، قال الرسعي: «بالأسحار: جمع سحر، وهو الوقت الذي قبيل طلوع الفجر، قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا، وكان ابن عمر يحيي الليل، فإذا جاء وقت السحر، قعد يستغفر ويدعوا حتى يصبح»^(١٢٣).

وقد سبق أن للعلماء تأويلات أخرى في المراد بالمستغفرين بالأسحار، ذكرها الماوردي بقوله: «المستغفرين بالأسحار: فيه ثلاثة تأويلات؛ أحدها: يعني المصلين بالأسحار، والثاني: المستغفرون قولاً بالأسحار، والثالث: أنهم يشهدون الصبح في جماعة»^(١٢٤).

(١٢٠) - التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٧ / ١٨.

(١٢١) - إضافة إلى ما ذكر: آل عمران: ٤١، مريم: ١١، الأنبياء: ٢٠، النور: ٣٦، الأحزاب: ٤٢، غافر: ٥٥، فصلت: ٣٨، الفتح: ٩، ق: ٣٩، ق: ٤٠، الطور: ٤٩.

(١٢٢) - انظر: التفسير المنير، لوهبة الزحيلي، ٢٧ / ١٥.

(١٢٣) - رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، للرسعي، ١ / ٧٨.

(١٢٤) - النكت والعيون، للماوردي، ٤ / ٣٧٨.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

رابعاً: قراءة القرآن: لا يخفى عظيم أجر قراءة القرآن الكريم في جميع الأوقات، ولكن المراد هنا الاستدلال على قراءته ليلاً من القرآن الكريم، وذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠]، قال الألوسي: «فاقرؤوا ما تيسر من القرآن: وقيل الكلام على حقيقته من طلب قراءة القرآن بعينها، وفيه بعد عن مقتضى السياق، واستدل عليه أن الله تعالى رخص لهم في ترك جميع القيام، وأمر بقراءة شيء من القرآن ليلاً»^(١٢٥).

وهذا الاستدلال وإن ذكره الألوسي تمريراً، وقال عنه: فيه بعد عن مقتضى السياق، إلا أن عموم الأدلة على فضل قراءة القرآن تعضده، كما أن عموم أدلة التسييح في الليل تشمل قراءة القرآن الكريم أيضاً. فهذه جملة من أنواع العبادات المختلفة، التي وجه القرآن الكريم المسلمين إلى الانشغال فيها، وبيات ليلهم عليها، إضافة إلى ضرورة النوم في الليل، كما سيبين البحث ذلك في المبحث الرابع.

المطلب الثالث: ضرورة الاستئذان وقت النوم.

وذلك في أوقات النوم الثلاثة التي سماها القرآن الكريم: (ثلاث عورات) في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيْسَتْ ذُنُوبُهُمْ لِيَسْتَأْذِنُوا الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ﴾ [النور: ٥٨]، قال الخطيب الشربيني: «وسميت هذه الأوقات عورات؛ لأن الإنسان يضع فيها ثيابه، وربما تبدو عورته»^(١٢٦)، والحكمة في اختصاص هذه الأوقات بالاستئذان دون غيرها ظاهرة، قال الشوكاني: «(من قبل صلاة الفجر): وذلك لأنه وقت القيام عن المضاجع، وطرح ثياب النوم، ولبس ثياب اليقظة، (من الظهر): حين تضعون ثيابكم التي تلبسونها في النهار من شدة الحر، وذلك عند انتصاف النهار، فإنهم قد يتجردون من الثياب لأجل القيلولة، (ومن بعد صلاة العشاء): وذلك لأنه وقت التجرد من الثياب والخلو بالأهل»^(١٢٧).

(١٢٥) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ٢٩ / ١٧٤، وانظر: فتوح الغيب، للطبي، ١٦ / ١٠٥.

(١٢٦) - السراج المنير، للخطيب الشربيني، ٤ / ٤٢٦.

(١٢٧) - بتصرف يسير من فتح القدير، للشوكاني، ١٠٢٥ - ١٠٢٦، وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٧ / ٣٥٤.

هدي القرآن الكريم في النوم - دراسة موضوعية -

ومن الملاحظ أن بعض الناس يتساهل في استئذان النساء، ظناً منه أن المراد بالاستئذان: الرجال فقط، والصواب أن المعنى بالاستئذان هنا: الرجال والنساء على حد سواء، قال الطبري: « هي في الرجال والنساء، يستأذنون على كل حال بالليل والنهار »^(١٢٨).

والحكم في هذه الآية باق لم ينسخ - كما نقل عن بعض العلماء -، فإن الاستئذان أدب أمر به القرآن الكريم في هذه الأوقات الخاصة في جميع الأزمنة^(١٢٩)، فالراجح أن الآية محكمة ليست منسوخة، وأن العمل بها قائم، ليس مقتصرًا على زمان أو حال من الأحوال كعدم وجود الأبواب أو غيره، قال القرطبي: « وهو قول أكثر العلماء »^(١٣٠)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: « أن الآية محكمة والعمل بها لازم، ولكن الناس لا يعملون بها »^(١٣١)، وأما القول بأن الآية منسوخة، وأن العمل بالاستئذان قد انتهى، فهو مرجوح، وليس المقام هنا لبسطه وتفصيله^(١٣٢).

وأصل الاستئذان فصله ابن عباس رضي الله عنهما بقوله في توضيح هذه الآية: « إن الله حلیم رحيم بالمؤمنين، يجب الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال »^(١٣٣)، فرمما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل، والرجل على أهله، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير، فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد^(١٣٤).

ومما يؤخذ من هدي النوم من هذه الآية أيضاً، أن الاستئذان يكون ثلاث مرات، قال القرطبي: « قال بعض أهل العلم: إن الاستئذان ثلاثاً مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ

(١٢٨) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٧ / ٣٥٢، وانظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم، ٨ / ٢٦٣٣، والناسخ والمنسوخ، للنحاس، ٥٩٢.

(١٢٩) - لتفصيل المسألة انظر: أحكام القرآن، للجصاص، ٥ / ١٩١ - ١٩٣.

(١٣٠) - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٢ / ٢٧٧.

(١٣١) - الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي القيسي، ٨ / ٥١٤٦.

(١٣٢) - انظر في ذلك: الناسخ والمنسوخ، للمقري، ١٣٣، والناسخ والمنسوخ، لابن العربي، ٣١٦، ونواسخ القرآن، لابن الجوزي، ٤٠٧ - ٤٠٨.

(١٣٣) - الحجال: جمع حجلة، بيت كالقبة يستر بالثياب، وتكون له أزرار كبار، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١ / ٣٤٦.

(١٣٤) - رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب الاستئذان في العورات الثلاث، رقم (٥١٩٢)، وحكم عليه د. خالد المزيني بالضعف، انظر المحرر في أسباب نزول القرآن، ٢ / ٧٥٥ - ٧٥٧.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

يَبْلَغُوا الْحُلْمَ مِنْكُمْ تَلَكَّ مَرَّتٍ ﴿ [النور: ٥٨]، قال يزيد: ثلاث دفعات، قال: فورد القرآن في الممالك والصبيان، وسنة رسول الله ﷺ في الجميع، قال ابن عبد البر: ما قاله من هذا، وإن كان له وجه، فإنه غير معروف عن العلماء في تفسير الآية التي نزع بها «(١٣٥)»، وهذا استنباط لطيف مع أن الهدي ثابت في السنة اتفاقاً.

ومما يؤخذ من هدي النوم من هذه الآية أيضاً: أن للنوم تخفيفاً في الثياب مما لا يكون في حال اليقظة، فضلاً عن أن النائم قد يتحرك وهو لا يشعر، وربما ظهرت عورته، أو ما لا يجب أن يراه أحد منه، لهذا جاء الهدي القرآني بضرورة الاستئذان في أوقات النوم، ويقاس على هذه الأوقات، جميع أوقات النوم، إذ لو نام إنسان في غير هذه الأوقات لمرض أو شغل أو سفر، فإن حكم الاستئذان يشملها، والله أعلم.

المطلب الرابع: المصائب قد تأتي وقت النوم.

من الهدي القرآن المستنبط في النوم؛ أن الله سبحانه وتعالى قد ينزل المصائب والبلاء في الناس وهم نيام، ذلك أن كثيراً من الناس يعتقدون أن النوم للراحة وحسب، فإذا هم ناموا لم يتوقعوا البلاء والمصيبة، وقد ذكر القرآن الكريم في أكثر من موضع أن المصائب والعقوبات حلت في الغافلين في وقت نومهم، ويكتفي الباحث بمثلين هنا؛ الأول هلاك عام لقوم بأكملهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤]، قال المراغي في تفسيرها: « أي وكثير من القرى أهلكتنا لعصيانها رسلها فيما جاؤوها به من عند ربها، وكان هلاكها إما حين البيات ليلاً كقوم لوط، وإما حين القائلة وهم آمنون نهاراً كقوم شعيب، وكلا الوقتين وقت دعة واستراحة، لم تكن تنتظر فيه كل منهما هلاكاً ولا عذاباً، فلا يجمل بالعاقل أن يأمن غدر الليالي ولا خدع الأيام، ولا يغتر بالرخاء فيعده علامة على أنه مستحق له، فهو مظنة الدوام» (١٣٦).

والمثال الثاني بلاء خاص مقتصر على عدد قليل، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَطَاقَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [القلم: ١٩]، فهؤلاء الرهط أحكموا خطتهم، وأصدروا قرارهم ولم يتبق على تنفيذه إلا ساعات قليلة -وهي ساعات النوم-، لا تحسب عند أهل الغفلة، إلا أن عقوبة الله كانت أسرع مما يظنون، وفي وقت لا يخطر على بالهم ولا حسابهم.

(١٣٥) - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ١٢ / ٢٧٨.

(١٣٦) - تفسير المراغي، ٣ / ٢٦١.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

ومصدق هذا الهدي من السنة النبوية: قال ﷺ: (إياك والسمر بعد هدأة الرجل، فإنكم لا تدرون ما يأتي الله في خلقه)^(١٣٧)، لذلك ينبغي على المسلم الاستعداد للمصائب والبلايا في كل وقت، بما فيها أوقات النوم، ويجب عليه أيضاً أن يعلم علم اليقين، أن قضاء الله عز وجل لا يمنعه نوم ولا غيره، ولعل هذا يبين جانباً من أهمية قول المؤمن عند استيقاظه (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور)^(١٣٨).

المبحث الرابع: الهدي القرآني في النوم.

استنبط الباحث عدة مسائل في هدي القرآن الكريم في النوم، يغفل عنها بعض الناس، ويعتقد بخلافها آخرون، وفي التمسك بهدي القرآن فيها الخير الكثير، وسيدرسها هذا المبحث في أربعة مطالب:

المطلب الأول: عدم النوم الطويل.

تذكر كثير من الدراسات الغربية والشرقية أن عدد ساعات النوم المثالي لا تقل عن ثمان ساعات يومياً، بل ربما عشر ساعات وذلك عند الإنسان البالغ، ولكن أهل الطب المنصفين، لا يقبلون هذه الدراسات ويؤكدون على عدم فائدة النوم الطويل، بل يؤكدون على ضرره على صحة الإنسان، وما يهمننا في هذا المجال؛ أن نستنبط من القرآن الكريم هديه في ذلك، ولعل الباحث يكتفي بأيتين توضحان هذا الهدي؛ الأولى: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتاً﴾ [النبا: ٩]، قال الرازي في تفسيرها: «سباتاً: يحتمل وجوهاً؛ الأول: أن يكون المعنى: وجعلنا نومكم متقطعاً لا دائماً، فإن النوم بمقدار الحاجة من أنفع الأشياء، أما دوامه فمن أضر الأشياء، فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لا جرم، ذكره الله تعالى في معرض الإنعام»^(١٣٩)، وهذه قاعدة مهمة من إمام كبير في علوم مختلفة.

(١٣٧) - أخرج الحميدي في مسنده، رقم (١٢٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم (٢٦٧٠).

(١٣٨) - رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، رقم (٦٣٢٤)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند

النوم وأخذ المضجع، رقم (٧٠٦٢).

(١٣٩) - التفسير الكبير، للرازي، ٣١ / ٩.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

وأما الآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، قال القاسمي: «والله يقدر الليل والنهار: أي أن يجعلهما على مقادير يجريان عليها، فتارة يعتدلان، وتارة يزيد أحدهما في الآخر، وبالعكس، مما يشق لأجله المواظبة على قيامه»^(١٤٠)، وقال الميداني: «ولما كان الليل يزيد وينقص بحسب اختلاف الفصول والأيام، وكانت دقائق النصف والثلث والثلاثين مختلفة في الليالي، وكان كل ذلك بتقدير الله عز وجل، قال عز وجل في الآية: (والله يقدر الليل والنهار)»^(١٤١).

والمتعمن في الآية يلحظ مقدار قيام الليل عند النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، ومع النظر في آية النور التي وضحت أوقات النوم الثلاثة، فإن الهدى القرآني في النوم في الليل أن لا يكون متواصلًا، فضلاً عن أنه لا يضيع صلاة، وبالتالي لن يكون طويلاً، وهذا يختلف باختلاف الفصول كما سبق.

ومما يزيد في سعة الاختلاف أيضاً؛ القراءات المتواترة في الآية الكريمة، (ونصفه وثلثه) فقد قرأ ابن كثير والكوفيون بنصب (الفاء) و(الثاء) وضم (الهائين)، وقرأ الباقون بخفض (الفاء) و (الثاء) وكسر (الهائين)^(١٤٢)، قال الألوسي: «ونصفه وثلثه بالنصب عطفًا على (أدنى)، كأنه قيل: يعلم أنك تقوم من الليل أقل من ثلثيه، وتقوم نصفه، وتقوم ثلثه... ، وبالجر عطفًا على (ثلثي الليل): أي تقوم أقل من الثلثين، وأقل من النصف، وأقل من الثلث»^(١٤٣)، وقال ابن عاشور: «وهذه أحوال مختلفة عن النبي ﷺ بالليل، تابعة لاختلاف أحوال الليالي والأيام في طول بعضها وقصر بعض»^(١٤٤).

أما تحديد عدد ساعات النوم التقريبي، فخصص له البحث مطلباً مستقلاً.

(١٤٠) - محاسن التأويل، للقاسمي، ١٦ / ٣٢٣.

(١٤١) - معارج التفكير ودقائق التدبير، للميداني، ١ / ١٨٨ - ١٨٩.

(١٤٢) - كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد، ٤٥٥، وجامع البيان في القراءات السبع، للداني، ٢ / ٤٢٣، والمصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، للشهرزوري، ٤ / ٢٧٢، والنشر في القراءات العشر، لابن الجزري، ٤ / ٤١٣، والبدور الزاهرة، للنشار، ٢ / ٣٩٦.

(١٤٣) - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ٢٩ / ١٧٣.

(١٤٤) - التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٩ / ٢٦٢.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

المطلب الثاني: عدد ساعات النوم المناسبة.

سبق الكلام عن توجيه القرآن الكريم إلى عدم النوم الطويل -في المطلب السابق-، ومن أصرح الآيات في ذلك قوله

تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، كما سبق بيان أوقات النوم التي ذكرها القرآن الكريم وهي ثلاثة أوقات، ولكن تبقى مسألة مهمة يختلف فيها الناس كثيراً، ويتحاكمون غالباً إلى الدراسات العلمية غير الثابتة، والمقالات الغربية؛ وهي كم عدد ساعات النوم المناسبة للإنسان في اليوم؟

ومما لا شك فيه أن الناس متفاوتون في ذلك، بحسب أعمارهم وأعمالهم، وصحتهم ومرضهم، وبحسب اختلاف الفصول، لكن معظم الدراسات الحديثة توجه الناس إلى ضرورة النوم ما لا يقل عن ثمان ساعات يومياً -للإنسان البالغ-، وذلك في الظروف الاعتيادية، وبعضها يزعم أن المقدار المناسب هو عشر ساعات، فما هدي القرآن الكريم في ذلك؟

عند النظر في آيات القرآن الكريم والتمعن في آيات النوم وما يتعلق به، وجد الباحث أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ

أَنَّكَ تَقُومُ أَذَىٰ مِّن ثُلثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةً مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُحْصِيَهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، أساس في حساب عدد ساعات النوم المناسبة للإنسان، وقبل الدخول في الحساب التقديري لا بد من التأكيد على النقاط التالية:

أولاً: أن الحساب هنا تقديري، وليس حداً فاصلاً لقوله سبحانه: ﴿عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُحْصِيَهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

ثانياً: هذه الآية تشير إلى عدد ساعات النوم في وقتين اثنتين -بعد صلاة العشاء، وقبل صلاة الفجر-، من أوقات النوم الثلاثة، ولا تشير إلى نومة الظهر، وهذا مما يترك ساعة في الحساب.

ثالثاً: سيعتمد الباحث في الحساب على توقيت المدينة المنورة، وذلك أن الآية مدنية، والرسول ﷺ وصحابته عند نزولها كانوا في المدينة، كما أن وقت المدينة يعتبر من الأوقات المتوسطة، والتباين فيه ليس كبيراً بين فصلي الشتاء والصيف (١٤٥).

رابعاً: الآية ذكرت في الحساب: قيام الليل، كوقت ثابت، وتركت بقية الأعمال الأخرى والتي منها: النوم.

(١٤٥) - فبعض المناطق في شمال وجنوب الكرة الأرضية، التباين في توقيتها كبير جداً، إذ يصل طول الليل أحياناً إلى أكثر من عشرين ساعة، ويقل أحياناً عن أربع ساعات.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

خامساً: وقت الليل يبدأ من غروب الشمس وينتهي بشروقها، فيدخل فيه ثلاث صلوات من الفريضة - المغرب والعشاء والفجر -، فلا بد من مراعاتها في الحساب.

سادساً: من الثابت أن النوم بعد الفجر مكروه - سبق بيان ذلك -، وهذا الوقت قد يحسب من وقت القيام.

سابعاً: من المعلوم أن الآية بقراءتها المتواترة (النصب والجر)، ومع اختلاف معنى الآية بناء عليهما، سيعتمد الباحث على قراءة النصب - الموافقة لرواية حفص، والتي عليها أكثر المسلمين الآن -، والتي تفيد قيام الثلثين، والنصف.

الحساب التقديري:

الآية الكريمة ذكرت ثلاثة أحوال لقيام النبي ﷺ ومن معه، وهي: الثلثين، النصف، الثلث، فيكون المعدل الحسابي لهذه الأحوال هو: النصف، وعند النظر في عدد ساعات الليل في المدينة المنورة، وجد الباحث أن أطول ليلة في السنة تساوي (ثلاث عشرة ساعة واثنان وعشرون دقيقة)^(١٤٦)، وأقصر ليلة في السنة تساوي (عشر ساعات وتسع عشرة دقيقة)^(١٤٧)، وعليه فإن متوسط طول الليلة الواحدة في المدينة المنورة يساوي (إحدى عشرة ساعة وخمسين دقيقة)، أي تقريباً: اثنتا عشرة ساعة.

ولما كان معدل قيام النبي ﷺ ومن معه؛ نصف الليل، فيساوي ست ساعات، وإذا أخذنا بعين الاعتبار وقت السمر، وقت العشاء أو السحور، وقت الخلاء، وغيرها، فلم يتبق للنوم إلا أربع ساعات في الليلة الواحدة - وهذا معدل عام، يزيد وينقص -، فتأتي نومة القيلولة لتكمل النقص في النوم، ومما هو معلوم أنها نومة قصيرة، وعليه فلن تزيد ساعات النوم في اليوم واللييلة عن ست ساعات، والله أعلم.

المطلب الثالث: النوم في الليل.

من المشاهد في هذه الأيام أن بعض الناس وخاصة الشباب لا ينامون في الليل أبداً، بل يجعلون نومهم في النهار - خاصة في رمضان وأيام الإجازة -، وفي هذا إضاعة لوقت البكور والنشاط، مفسدة للصحة وهدر للوقت، ومخالفة لهدي النبي ﷺ وأصحابه وتابعيه، الذين مما جاء في وصفهم أنهم كانوا ينامون في الليل، قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾

(١٤٦) - وذلك بتاريخ ٢٣/ كانون أول، انظر: تقويم أم القرى، ١٤٤١هـ.

(١٤٧) - وذلك بتاريخ ٢١/ حزيران، انظر: تقويم أم القرى، ١٤٤١هـ.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

﴿[الذاريات: ١٧]، قال ابن كثير: «اختلف المفسرون في ذلك على قولين؛ أحدهما: أن (ما) نافية، تقديره كانوا قليلاً من الليل لا يهجعونه... والقول الثاني: أن (ما) مصدرية، تقديره كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم»^(١٤٨).

والجمع بين القولين سهل وقريب، وهو أولى من إسقاط أحدهما، فحال القوم يختلف باختلاف الزمان والمكان والصحة والانشغال وغيرها، وهم بين هذين الحالين؛ إما يطيلون القيام ويكثرون الاستغفار حتى يكون النوم قليلاً، وهذا الموافق لمعنى (ما) المصدرية، وإما يكتفون بقيام جزء يسير من الليل لمرض أو سفر أو شغل أو غيرها، فيكون النوم هو أكثر الليل، والقليل هو الذي لا يهجعونه، وهذا الموافق لمعنى (ما) النافية، وفي جميع الأحوال فإن الآية تثبت لهم النوم في الليل، قلّ أو كثر، مع حرصهم وحبهم لنيل الدرجات في إطالة الصلوات، فكيف بمن يترك النوم لإضاعة الأوقات والانشغال في المباحات أو المحرمات.

وأما ما ذهب إليه بعض العلماء من فهم هذه الآية، أنهم كانوا لا ينامون قليلاً ولا كثيراً في الليل، قال ابن جزي: «المهجوع: النوم، وفي معنى الآية قولان؛ أحدهما وهو الصحيح: أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل، ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع والدعاء، والآخر: أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلاً ولا كثيراً»^(١٤٩)، وقال ابن كثير: «وقال الضحاك (إنهم كانوا قبل ذلك ذلك محسنين، كانوا قليلاً) ثم ابتداء فقال: (من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون)، وهذا القول فيه بعد وتعسف»^(١٥٠).

فهذا الفهم الذي رده ابن كثير، وضعفه ابن جزي، مخالف لسياق الآية وسباقها، كما هو مخالف لهدي النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، وأما نومة النهار (القيلولة)، فهي مكملة لنوم الليل، وهي فرع لا أصل، وقد سبق الحديث عنها في مطلب: أوقات النوم.

المطلب الثالث: النوم على الجنب الأيمن.

وهذا الأدب في النوم ثابت في السنة، يؤخذ أيضاً من القرآن الكريم من موضعين؛ أولهما قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، وذلك من لفظ جنوبهم الصريح في كيفية نومهم، والوارد في سياق المدح

(١٤٨)- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٢٥٠.

(١٤٩)- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، ٢/ ٣٧١.

(١٥٠)- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٢٥٠.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

والثناء، كما يشير إلى هذا الأدب أيضاً من نفس الآية، لفظ المضاجع، إذ إن أصله اللغوي يدل على اللصوق بالأرض على جنب^(١٥١)، فاختيار القرآن لهذا اللفظ هنا دون سائر الألفاظ التي تدل على مكان النوم، فيه دلالة وإشارة لهذا الأدب، وتلكم الكيفية للنوم.

وأما الموضوع الثاني الذي يشير إلى أن النوم يكون على الجنب - وليس على البطن أو الظهر^(١٥٢): قوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ لَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨]، والآية في سياق الامتنان من الخالق سبحانه على أصحاب الكهف الذين حفظهم في نومهم مئات السنين، ومن وسائل حفظهم أنه سبحانه وتعالى قلبهم ذات اليمين وذات الشمال، وهنا الإشارة إلى أن نومهم كان على الجنب وليس على هيئة أخرى، قال السعدي: « ولحفظ أجسادهم من التلف والبلى قدر - سبحانه - أن قلبهم على جنوبهم يميناً وشمالاً، بقدر ما لا تفسد الأرض أجسادهم، والله سبحانه وتعالى قادر على حفظهم من الأرضة من غير تقليب، ولكنه أراد أن يجري سننه في الكون بربط الأسباب بمسبباتها »^(١٥٣).

ولا يخفى أن من سنن الشرع في النوم أن يكون على جنب، كما أن بداية النوم تكون على الجنب الأيمن^(١٥٤)، ومن لطيف الآية أنها ابتدأت به، ثم عطفت عليه الجنب الشمال، وهذه أيضاً إشارة ودلالة على إحدى سنن النوم التي ينبغي التأدب والالتزام بها.

(١٥١) - انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٥٥٤، وقد سبق الكلام عن هذا في مرادفة الاضجاع.

(١٥٢) - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً مضجعاً على بطنه فقال: «إن هذه الضجعة لا يجبها الله» رواه الترمذي، كتاب الأدب عن رسول الله، باب ما جاء في كراهية الاضجاع على البطن، رقم (٢٧٦٨)، وقال حديث حسن صحيح.

(١٥٣) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ٣ / ٣٨٠.

(١٥٤) - وللنوم على الجنب الأيمن فوائد كثيرة، ذكر جانباً منها؛ ابن القيم في زاد المعاد، انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١ / ٣٢١، و

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

الخاتمة

وفيها أبرز النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث:

- ١- وردت كلمة النوم باشتقاقاتها المختلفة تسع مرات في القرآن الكريم، في تسع سور مختلفة، مدنية ومكية.
- ٢- جميع مواضع النوم التسعة جاءت بالمعنى الحقيقي المعروف، ولم تأت بالمعنى المجازي، كما أنها جاءت في ثمانية مواضع للإنسان، وفي موضع واحد في سياق نفي النوم عن الخالق سبحانه.
- ٣- للنوم مرادفات كثيرة في القرآن وهي: السنة، النعاس، الرقود، الهجوع، الاضجاع، الوفاة، القيلولة، البيات، البرد، الهجود، السكون، ولكل مترادفة دلالة في المعنى.
- ٤- للنوم في حياة الإنسان أهمية كبيرة، لكثرة دورانه، وطول وقته، وإمكانية جعله عبادة مع جهد يسير، وغيرها لذلك توسع القرآن الكريم في توضيح هدي النوم بالنسبة للمسلم.
- ٥- ثمة ممارسات خاطئة كثيرة عند عموم الناس في النوم، وأحياناً عند بعض طلبة العلم، بسبب معتقدات خاطئة، أو دراسات علمية غير دقيقة، أو موروثات سلبية، أو بسبب الكسل وإضاعة الوقت، وجد الباحث تهنيداً لها في القرآن الكريم.
- ٦- في التفسير الموضوعي أهمية كبيرة، وحلول مهمة لمشكلات الناس وتصرفاتهم الخاطئة،
- ٧- في النوم تميز للمسلم التقى عن غيره، ولصاحب الهمة والعبادة عمن سواه، فالنوم من أبرز مظاهر التميز عند المسلم.
- ٨- في القرآن الكريم وصف دقيق ورسم للمنهج الصحيح في النوم في حياة المسلم، يحسن بمن يبحث عن السعادة والاستقامة التمسك به.
- ٩- نزه القرآن الكريم الخالق سبحانه وتعالى عن النوم أو مقدماته، لأن النوم ضعف، والخالق سبحانه كامل منزه عن الضعف والنقص.
- ١٠- ذهب العلماء القدامى إلى أن النوم فيه تعطيل للحواس، وأما العلم الحديث فيثبت أن النوم فيه إضعاف للحواس، وليس تعطياً لها.
- ١١- للنوم آداب وأخلاق، وجه القرآن الكريم للعمل والتأدب بها، كالاستئذان في أوقات النوم، والنوم على الجنب، وغيرها.
- ١٢- لا نوم في الآخرة، لا للمسلم في الجنة حتى لا ينقص من لذته ومتعته، ولا للكافر في النار، حتى لا ينقص من عذابه وعقابه.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

- ١٣- لا ينبغي للمسلم أن يقضي ليله كله في النوم، كما لا ينبغي له أن لا ينام إطلاقاً في الليل.
- ١٤- النوم بمقدار الحاجة من أنفع الأشياء، أما زيادته ودوامه فمن أضر الأشياء.
- ١٥- استنبط البحث من آيات القرآن الكريم، أن عدد ساعات النوم المناسبة في اليوم: ست ساعات موزعة على أكثر من وقت.

- ١٦- النوم الطويل مضر بصحة الإنسان، والنوم المتقطع أنفع للصحة وأحفظ للعبادات والصلوات.
- ١٧- شبه القرآن الكريم في مواضع متعددة النوم بالموت، بل جعل النوم موتاً أصغراً، والموت هو النوم الأكبر.
- ١٨- أشار القرآن الكريم إلى علامات للصالح في النوم عند عباد الله المتقين من الأنبياء والصالحين.
- ١٩- الأنبياء والرسل وأفضلهم محمد ﷺ، ينامون كسائر البشر، ويرون الرؤى في نومهم، إلا أن رؤاهم حق ووحي.

وأما أبرز التوصيات التي يوصي بها الباحث:

- ١- العناية بالتفسير الموضوعي، وتقديم التصور القرآني لقضايا الناس ومشكلاتهم.
- ٢- ضرورة عقد دورات ومحاضرات للمعلمين والآباء والأمهات، لتوضيح هدي القرآن الكريم في النوم، ليقوموا بدورهم تجاه أبنائهم في هذا الجانب المهم، حرصاً على أوقاتهم وأعمالهم وصحتهم، واتباعاً لهدي كتابهم الكريم.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

Direction of Holy Quran in the Sleeping - an Objective Study-

Dr. Shadi Ahmad Tawfeeq Al-Melhim

Associate Professor, Islamic Studies Department, College of Science and Arts in Al-Methnab,
Qassim University.

This research aims to collect and study the verses of sleep and its synonyms in the Holy Quran, and devise of its guidance in the Holy Quran, because sleep is of great importance in the lives of people; This paper also aims to present a model of the Qur'anic perception, through an objective interpretation of a subject where people spend close to one-third of their lives.

The researcher has taken the inductive method, collecting and counting the relevant verses, then the analytical method in studying those verses, and finally the deductive method in the statement of the guidance of the Holy Quran in sleep, while adhering to the principles of scientific research.

Researcher has been reached about sleep in the Holy Quran: lack of long sleep, the importance of intermittent sleep, to sleep three times favorite, at night multiple acts of the Muslim only sleep improves to do, sleep is a great blessing for the comfort of people, no sleep in the hereafter, in sleep signs and missionaries For goodness, the need to ask permission at bedtime, as the calamities and scourges may come at bedtime, and other than what is mentioned in this research.

Keywords: Objective Interpretation, Sleeping, Holy Quran.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

المراجع والمصادر:

- ١- أحكام القرآن، الجصاص، أحمد بن علي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق مُجَدِّ الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، مُجَدِّ بن مُجَدِّ (ت ٩٨٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، مُجَدِّ الأمين (ت ١٣٩٣هـ)، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ٤- الأمالي، القالي، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ط، ١٩٨٠م.
- ٥- انشراح الصدور في تدبر سورة النور، اللاحم، أ.د. سليمان بن إبراهيم، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤٣٠هـ.
- ٦- البحر المحيط، أبو حيان، مُجَدِّ بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ١٤٣٦هـ.
- ٧- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، النشار، عمر بن قاسم (ت ٩٣٨هـ)، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٨- التحرير والتنوير، ابن عاشور، مُجَدِّ الطاهر (ت ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٩- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزري، مُجَدِّ بن أحمد (ت ٧٤١هـ)، ضبطه مُجَدِّ سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- ١٠- التعريفات، الجرجاني، علي بن مُجَدِّ (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- ١١- تفسير ابن باديس، ابن باديس، عبد الحميد بن مُجَدِّ (ت ١٣٥٨هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

- ١٢- تفسير ابن تيمية، الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (٧٢٨هـ)، جمع وتحقيق إیاد القيسي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٣٢هـ.
- ١٣- تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي، جلال الدين بن أحمد (ت ٨٤٥هـ) و جلال الدين بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
- ١٤- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط ٨، ١٤١٦هـ.
- ١٥- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، ابن أبي حاتم، محمد عبد الرحمن (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد الخطيب، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ.
- ١٦- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٢٢هـ.
- ١٧- تفسير المراغي، المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، خرّج أحاديثه باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ١٨- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، د. وهبة (ت ١٤٣٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- ١٩- تقويم أم القرى، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، مطابع الحكومة، الرياض، ١٤٤١هـ.
- ٢٠- تهذيب اللغة، الأزهرى، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة دار القومية العربية، مصر، ط ١، ١٣٨٤هـ.
- ٢١- التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق د. محمد رضوان، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ)، مكتبة الصفا، ط ١، ١٤٢٥هـ.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

- ٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مُجَّد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٢٤- جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، مُجَّد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٥هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ٢٥- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، الداني، عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق أ.د. مُجَّد عتيك، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.
- ٢٦- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مُجَّد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، تحقيق د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٢٧- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي، الخفاجي، أحمد بن مُجَّد شهاب الدين (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.
- ٢٨- حقيقة النوم ووقفات وتأملات، أبو عواد، يوسف مُجَّد، المجلة العربية، الرياض، العدد ٥٣، ١٤٢٢هـ.
- ٢٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ٣٠- دراسات في التفسير الموضوعي، الألمعي، د. زاهر بن عوض، د.ن، د.م، ط٤، ١٤٢٨هـ.
- ٣١- ديوان طرفة بن العبد، (ت قبل الهجرة)، تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٣٩٥هـ.
- ٣٢- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، الرسعني، عبد الرزاق بن رزق الله (ت ٦٦١هـ)، تحقيق د. مُجَّد البراك، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٩هـ.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

- ٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق مُجَّد الأحمد وعمر السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٣٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، مُجَّد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ.
- ٣٥- السراج المنير، الشرييني، مُجَّد بن أحمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ)، خرج أحاديثه أحمد عزو الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ٣٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، مُجَّد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ.
- ٣٧- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، مُجَّد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ)، حكم على أحاديثه مُجَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤٢٩هـ.
- ٣٨- سنن أبي داود، السجستاني، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- ٣٩- سنن الترمذي، الترمذي، مُجَّد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق مُجَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، د.د.
- ٤٠- شرح القوائد العشر، التبريزي، يحيى بن علي (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الأصبغي، حلب، ط ٢، ١٣٩٣هـ.
- ٤١- شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٣٩٨هـ.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

- ٤٢- شعب الإيمان، البيهقي، أحمد بن حسين (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي عبد الحميد، الدار السلفية، بومباي، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٤٣- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، د. ط، ١٩٦٦م.
- ٤٤- صحيح البخاري، البخاري، مُجَّد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق مُجَّد ناصر الدين الألباني، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٤٥- صحيح الجامع الصغير، الألباني، مُجَّد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ.
- ٤٦- صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، اعتنى به ياسر حسن وعز الدين ضلي وعماد الطيار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- ٤٧- الطبقات الكبرى، الواقدي، مُجَّد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٥٧م.
- ٤٨- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الحلبي، شهاب الدين المعروف بالسمين (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق مُجَّد عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.
- ٤٩- فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، صديق بن حسن (ت ١٣٠٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٥٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، مُجَّد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، اعتنى به يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط ٤، ١٤٢٨هـ.
- ٥١- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، الطيبي، الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف د. مُجَّد عبد الرحيم، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات، ط ١، ١٤٣٤هـ.
- ٥٢- في ظلال القرآن، الشاذلي، سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ)، دار الشروق، بيروت، ط ٦، ١٣٩٨هـ.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

- ٥٣- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، أبو حبيب، د. سعدي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ٥٤- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين (ت١٨١٧هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ٥٥- الكامل، المبرد، مُجَّد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق مُجَّد الوالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٨٦م.
- ٥٦- كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، أحمد بن موسى (ت٣٢٤هـ)، تحقيق جمال الدين شرف، دار الصحابة، طنطا، ط١، ١٤٢٨هـ.
- ٥٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٥٨- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، عمر بن علي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٥٩- لسان العرب، ابن منظور، مُجَّد بن مكرم (٧١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٦٠- مباحث في التفسير الموضوعي، مسلم، د. مصطفى، دار التدمرية، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.
- ٦١- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، تحقيق مُجَّد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.
- ٦٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، ط١، ١٣٥٢هـ.
- ٦٣- محاسن التأويل، القاسمي، مُجَّد جمال الدين (ت١٣٣٢هـ)، اعتنى به مُجَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.
- ٦٤- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، المزيني، د. خالد بن سليمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٤، ١٤٣٨هـ.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

- ٦٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
- ٦٦- المدخل إلى التفسير الموضوعي، الحميضي، د. إبراهيم بن صالح، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٣٨هـ.
- ٦٧- المدخل إلى التفسير الموضوعي، سعيد، عبد الستار فتح الله، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط ٢، ١٤١١هـ.
- ٦٨- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا القاري، علي بن سلطان (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ٦٩- المسند، الشيباني، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣هـ.
- ٧٠- مسند الحميدي، الحميدي، عبد الله بن الزبير (ت ٢١٩هـ)، تحقيق حسن سليم الداراني، دار السقا، دمشق، ط ١، ١٩٩٦م.
- ٧١- مشكاة المصابيح، التبريزي، محمد بن عبد الله (ت ٧٤١هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ.
- ٧٢- المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، الشهرزوري، المبارك بن الحسن (ت ٥٥٠هـ)، دراسة وتحقيق أ.د. إبراهيم الدوسري، دار الحضارة، الرياض، ط ١، ١٤٣٨هـ.
- ٧٣- معارج التفكير دقائق التدبر، الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة (ت ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ٧٤- معاني القرآن، الأخفش، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ)، اعتنى به إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠١١م.
- ٧٥- معاني القرآن إعرابه، الزجاج، إبراهيم بن السري (ت ٣١١هـ)، تحقيق د. عبد الجليل شلي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

هدي القرآن الكريم في النوم -دراسة موضوعية-

٧٦- المعجم الأوسط، الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

٧٧- معجم أكاديميا للمصطلحات العلمية والتقنية، دبس، مُجَّد، دائرة المعاجم بدار أكاديميا إنترناشونال، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

٧٨- معجم الشعراء، المرزباني، مُجَّد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد، مكتبة النووي، دمشق، د.ط، د.ت.

٧٩- المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، العراق، ط ١، ١٩٨٣م.

٨٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، مُجَّد فؤاد (ت ١٣٨٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ٤، ١٤١٤هـ.

٨١- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن مُجَّد (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق مُجَّد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٤٢٢هـ.

٨٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، أحمد بن عمر (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.

٨٣- مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥هـ)، راجعه أنس الشامي، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ.

٨٤- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُجَّد (ت ٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.

٨٥- الناسخ والمنسوخ، ابن العربي، مُجَّد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق عبد الكبير المدغري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٨٦- الناسخ والمنسوخ، المقري، هبة الله بن سلامة (ت ٤١٠هـ)، تحقيق زهير الشاويش و مُجَّد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

د. شادي أحمد توفيق الملحم

- ٨٧- الناسخ والمنسوخ، النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق د. محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٨٨- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق د. خالد أبو الجود، دار المحسن، الجزائر، ط ١، ١٤٣٧هـ.
- ٨٩- النكت والعيون، الماوردي، علي بن حبيب (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق السعيد عبد المقصود، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط، د.ت.
- ٩٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الباز، د.م، د.ط، د.ت.
- ٩١- النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن، باشا، د. حسان شمسي، دار المنارة، جدة، ط ٢، ١٩٩٣م.
- ٩٢- نواسخ القرآن، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد أشرف الملباري، الجامعة الإسلامية، المجلس العلمي، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- ٩٣- الهداية إلى بلوغ النهاية، القيسي، مكّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق مجموعة رسائل جامعية، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ.